16 em Année No. 776

Lundi — 17 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رجب سنة ١٣٦٧ — ١٧ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لمن هذه القوة فى فلسطين ؟

إذا قلت إن القوة التى فى فلسطين لليهود ، فكأنما قلت إن للأرانب دولة فى غاب الأسود ! ومن ذا الذى يصدق خبراً تناصرت على تكذيبه أدلة الشريعة والطبيعة والعيان ؟ فالقرآن يخبر أن الله ضرب على اليهود الذلة والمسكنة بما عصوا وعدَوا ؛ فمن يزعمُ الآن أن مُلك إسرائيل يعود ، فقد كذب القرآن وصدّق التلمود . والطبيعة تشهد أن الغريزة تفقد شهوتها بالتعطيل ، كما يفقد العضو وظيفته بالترك : فغريزة الافتراس فى الحيوان ضعفت فى الإنسان بالإهمال ، على مدى الحقب الطوال ، حتى أصبحت أثراً فى العض ورمزاً فى التقبيل . والأظفار الخمسة فى رِجل البهيم تطاولت عليها الدهور وهى تتسلق وتنشب ، فاعتراها الضمور والذبول حتى صارت أثراً تاريخياً وراء الحافر أو الظلف . واليهود منذ فرق شملهم (بختنصر) ، وبتّ حبلهم (أدريان) أخذت تضعف فيهم غريزة الدفاع عن النفس بالقوة حتى ماتت فى مدى خمسة وعشرين قرناً لم يدافعوا عن حياتهم فيها إلا بخداع الثعلب وتملق الكلب وتلون الحرباء . فمن أين لهم الأكف التى تحمل السلاح ، والقلوب التى ترفد الأيدى ؟ أما العيان — وهو مصداق النقل وشاهد العقل — فيثبت أن اليهود ثعابين من غير سم ، وبراكين من غير نار . هل رأيت يهودياً دخل فى عنف وإن هان ، أو جرؤ على ظلم وإن قل ؟ أنا نفسى شهدت لبعضهم منظراً لا أنساه حتى أموت ، ولا أذكره إلا ضحكت : قضيت الصيف فى بغداد سنة ١٩٣٠ ، والصيف فى بغداد لفحات من جهنم بالنهار ، ونفحات من الفردوس بالليل . فالبغداديون يميتون أيامه فى السراديب ، ويحيون لياليه على دجلة . فى ليلة قمراء من هذه الليالى ركبتُ أنا وصديق (الجشنى) زورقاً من زوارق النزهة ، فيه السمك (المسجوف) والفاكهة الطيبة . وسار بنا الزورق يتهادى حتى توسط النهر ، فوقع فى أسماعنا من ضفاف الكرخ غناء وعزف . فقلنا للنوتى : اتبع طريق هذا الزورق اللاهى . فقال فى لهجة الغاضب الأنوف : ولماذا نتبع نحن ولا يتبعون هم ؟ هؤلاء يهود ! ولو شئتم أتيتكم بالمغنى والمازف ! فدهشت ولم يدهش صديقى . وحاذى المركبُ المركبَ ، فإذا رهط من شباب اليهود لا يقلون عن العشرة ، قد انتظموا عقدين على جانبى المركب ، وفى الوسط مائدة مستطيلة عليها الطعام والشراب والزهر ، وفى الصدر مغنية حسناء تضرب على العود ، وكهل بدين ينقر على القانون ، وشاب أنيق يعزف على الكمان . فلما رأونا سكنت الحركات ، وخشعت الأصوات ، وتجمعت الأكتاف ، وتدلت الأطراف ، وشخصت الأعين ؛ ونادى ملاحنا بلهجته العراقية الآمرة : « تعالْ يا بنِت ! تعالْ يا وِلدْ ! » وانتظرت أن أرى الغضب والإباء ، أو التردد والوناء ، فلم أر إلا القوم يخلون للجوقة الطريق واجفين ، ويساعدونها على الانتقال واقفين ! ولو كنا جرينا مع النوتى على مذهبه ، لنقل كل ما كان فى مركبهم إلى مركبه !

(البقية على الصفحة التالية)

لمن هذه القوة إذن ؟ إنها للاتحاد الذى جعل النحل تهزم جيشاً بأمره ، ومكن للبراغيث أن تخرج (النمروذ) من قصره . وإنها للعلم الذى ينقـل على أجنحة النحل قذائف تدك المدن ، وينبت فى أفواه البراغيث أنياباً تقتل الفيَـلة . وإنها للمال الذى يسخر المصانع الأمريكية لتسليح اللص ، ويجبر الممالك الأوربية على تأييد الباغى .

فهل أعد العرب العدة لهذه الأقانيم الثلاثة ، أم لا يزالون يعتمدون فى دفاعهم على الفتح والوراثة ؟

أحمد حسن الزيات

٣ - عبد الله بن سـبأ

للدكتور جواد علي

رأيت أن أقدم رواية وردت إلينا عن « عبد الله بن سبأ » هي رواية تعود إلى القرن الثالث للهجرة . وهى أقدم من رواية الطبرى ، والطبرى أول من تعرض « لابن سـبأ » فى تفصيل واطناب بالنسبة لحوادث الفتنة . وقد تعرض « أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى وهو من رجال القرن الثالث للهجرة ومن رجال الشيعة لعبد الله بن سبأ فى معرض كلامه عن فرق الشيعة ؛ وهى رواية مهمة لأنها تمثـل رأى الشـيعة فى هذا الرجل ، وما قالوه فيه . وأنت إذا ما قرأت ما كتبه النوبختى عن « السبأية » تيقنت من أن بعض علماء الـكلام قد نقلوا عنه .

قال النوبختى : « السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك . فأخذه علىّ فسأله عن قوله هذا فأقر به ، فأمر بقتله . فصاح الناس إليه : يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فصيره إلى المدائن . وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علىّ عليه السلام ، أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام ؛ وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع ابن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة ؛ فقال فى إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى علىّ عليه السلام بمثل ذلك . وهو أول من شهر القول بفرض إمامة على عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه .

فمن هنا قال المخالفون إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية . ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال للذى نعاه : كذبت ! لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة ، وأقمت على قتله سبعين عدلا ، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ؛ ولا يموت حتى يملك الأرض .

والنوبختى من المعاصرين لابن قتيبة الدينورى صاحب كتاب المعارف « المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة » وللطبرى « المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة » ولابن عبد ربه « المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة » . ولعالم شيعى آخر ذكر « ابن سبأ » بعبارة تكاد تكون عبارة النوبختى بعينها وهـــذا الرجل هو « أبو عمر ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الـكشى » صاحب كتاب « معرفة أخبار الرجال » وقد عاش فى بغـداد وكانت داره من الدور المقصودة ، وملتقى طلاب العلم . ولابد لنا من ذكر عبارة الـكشى عن « عبد الله ابن سبأ » لنتمـكن من تكوين فكرة عنه وعما ورد فيه

وقد أخذ الـكشى روايته هذه — على ما يقوله — عن ابن قولويه عن سعد بن عبد الله بن أبى خلف القمىّ عن محمد بن عثمان العبدى عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان عن أبيه ، وتنتهى هذه السلسلة بالإمام جعفر الصادق المتوفى سـنة ١٤٨ للهجرة . والمعاصر للخليفة العباسى المنصور .

جاء فى كتاب معرفة أخبار الرجال أن الإمام قال « إن عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله (تعالى عن ذلك) ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال نعم أنت هو ، وقد كان ألقى فى روعى أنك أنت الله وأنى نبى . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويلك ! قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب . فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب ، فأحرقه بالنار وقال إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقى فى روعه ذلك » .

وذكر رواية أخرى هى أن الإمام جعفر الصادق ذكر عبد الله بن سبأ فقال « لعن الله عبد الله بن سبأ ! إنه ادعى الربوبية فى أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً . الويل لمن كذب علينا ؛ وأن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله فى أنفسنا نبرأ إلى الله منهم ؛ نبرأ إلى الله منهم » . إلى أن قال « ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام ، وكان يقول وهو على يهوديته فى

يوشع بن نون وصى موسى بالغلو فقال بعد إسلامه ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فى علىّ عليه السلام مثل ذلك . وكان أول من أشهر القول بفرض إمامة على ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم ، فن ههنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية » (١) .

والعبارة الأخيرة هى نفس العبارة التى ذكرها النوبختى فى كتابه « فرق الشيعة » عن عبد الله بن سبأ ، وحيث أن الشخصين كانا متعاصرين ، فن الجائز يكون قد نقل أحدهما عن الآخر ، غير أن مقدمة خبر كل واحد منهما عن « عبد الله ابن سبأ » وعن السبائية تدل على أنهما أخذا معا من مصدر آخر لعله أقدم من مصدرهما . والظاهر أنهما أخذاه عن كتاب لا رواية لأن الكشى يسلك سبيل الأخباريين والرواة فيذكر عادة فى كل رواية سلسلة الرواية ، ولم يفعل ذلك فى هذه العبارة التى يظهر أنها كانت عبارة كتاب آخر وأنهما نقلاها نقلا يكاد يكون حرفيا من « ذكر بعض أهل العلم » إلى آخر هذه الفقرة . ولعلهما نقلا ذلك عن كتاب آخر يعود إلى سعد بن عبد الله الأشعرى القمىّ المتوفى سنة ٢٩٩ أو ٣٠١ للهجرة ، وهو عالم له مصنف فى هذا الموضوع .

ومما يستحق الملاحظة كذلك أن النوبختى كان قد ذكر فى آخر خبره عن السبأية أن عبد الله بن سبأ لما بلغه خبر مقتل الإمام علىّ وهو بالمدائن « قال للذى نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا ، لعلمنا أنه لم يمت ، ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض »(٢) .

وهذه العبارة قريبة فى المعنى من العبارة التى ذكرها الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » والتى نسبت إلى جرير بن قيس ، ولعلهما أخذا من منبع واحد واستعمل كل واحد منهما العبارة التى اختارها لهذا المعنى .

ونجد فى كتاب « الفرق بين الفرق » لعبد القاهر ابن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة ذكرا « لعبد الله ابن سبأ » فى معرض حديثه عن الفرق ومنها فرقة « السبأية »

(١) كذلك .

(٢) فرق الشيعة ص ٢٢

اتباع عبد الله بن سبأ وقد سماهم « السبابية » وقد عرفت هذه التسمية بهذه الصورة فى كتب أخرى (١) . وقد نقل عنه « أبو المظفر عماد الدين شاهفور طاهر بن محمد الاسفرائينى المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة (٢) . نقل عنه نقلا يكاد يكون بالحرف . لذلك يكرر ما ذكره البغدادى فى هذا الباب . واختصر عبد الرازق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرسعنى من رجال القرن السابع للهجرة كتاب البغدادى وأدخل ما ذكره البغدادى فى كتابه (٣) .

وبعد كتاب « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ من أهم المراجع التى تعرضت لبحث « عبد الله بن سبأ » وأتباعه « السبائية » وقد اعتمد عليه جماعة من العلماء منهم الإيجى المتوفى سنة ٧٥٦ للهجرة (٤) وعلى الأخص المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة . الذى نقل عنه نقلا حرفيا (٥) ؛ ثم المؤرخ الشهير ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة (٦) . والجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ للهجرة صاحب « شرح المواقف » فى علم الكلام للايجى المسمى « المواقف فى علم الكلام » (٧) .

ونضيف إلى هذه المراجع ما ذكره ابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ للهجرة فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » وقد دعاهم « السبابية » (٨) . وما كتبه أصحاب الكتب الأخرى .

(البقية على صفحة ٤٥٧)

(١) راجع عنه ابن خلكان « وفيات الأعيان » طبعة « ده سلان » ج ١ ص ٤١٥ وطبعة مصر ج ١ ص ٤٢٣ ، الكتبى « فوات الوفيات » طبعة مصر سنة ١٢٩٩ ج ١ ص ٢٩٨ ، السبكى طبقات الشافعية الكبرى المطبعة الحسينية ج ١ ص ٢٢٨ و ج ٣ ص ٢٣٨ فما بعد .

(٢) راجع عنه السبكى طبقات ج ٣ ص ١٧٥ ، له « التبصير فى الدين » وكتاب التفسير الكبير Brockilmann , Suppz , 1 . P 731 996

(٣) راجع كتابه « مختصر كتاب الفرق بين الفرق » إخراج الدكتور فليب حتى مصر مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤

(٤) راجع كتابه « المواقف فى علم الكلام » « طبعة Saerensen » ص ٣٤٢ وله كتب أخرى راجع فى تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ٣ ص ٢٥١

(٥) المقريزى خطط ج ٢ ص ٣٥٢

(٦) راجع المقدمة طبعة « Quatremés » ص ٣٠٨

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٥١

(٨) راجع طبعة مصر سنة ١٣١٧ — ١٣٢١ للهجرة فى خمسة مجلدات .

الغيظ المحزن!

للأستاذ نقولا الحداد

ألا يغيظنا أن عرب فلسطين يفرون أمام فظائع اليهود الخبثاء، ويتشردون فى البلاد العربية هنا وهناك، وأولئك الدخلاء الصهيونيون الأراذل يتمكنون فى البلاد وينهبون بيوت العرب، ويفطرون ويتغدون ويتعشون من طعام العرب، ويلبسون ثياب العرب، ويملكون أثاثهم وأمتعتهم — يفعلون هكذا كما فعل أسلافهم من قبلهم منذ ٣٢ قرناً حين ساقهم موسى من مصر إلى أرض كنعان حيث طردوا الكنعانيين من بلادهم وتناهبوا أرزاقهم؟! هل يعيد التاريخ نفسه؟

ألا يحزننا أن هؤلاء الجبناء الخبثاء ينكّلون بنساء العرب وأطفالهم وعجزتهم كما ينكل الذئاب والنمرة بفرائسها من الحملان والكباش والفراخ، ونحن نقرأ أخبار هذه الفظائع وأكبادنا تتقطع، وقلوبنا تتمزق!

ألا نخجل أن نرى إخواننا، وهم أهل البلاد، يفرون أمام الدخلاء فرار النعاج من الضواري ونحن نتفرج ونسمع ونقرأ ونتألم، ولا ننتقم من هؤلاء الأشرار شر انتقام؟ لماذا؟ لأننا نريد أن نتحامى غضب البريطانيين قبل أن ينتهى انتدابهم. وهؤلاء الذئاب يستغلون صبرنا، وطيبة قلوبنا، وتمسكنا بالإنسانية وشرف الخلق.

يا قوم ... لا ينفع مع هؤلاء الأشرار الطغاة العتاة قول يسوع الناصرى يوم علقوه على خشبة الصليب: «يا رب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». فهم يهزأون حين «نحول لهم الخد الأيسر» ويستبلهوننا ... لا ينفعنا مع هؤلاء الأشرار إلا قول القرآن الكريم: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»

كان على الجنود العرب أن يقتصوا منهم على الأثر؛ رضى الانكليز أو غضبوا. كفانا يا قوم استخذاء كما استخذى الانكليز لليهود الاثام. حسبنا مراعاة لخاطر الانكليز وهم يحمون اليهود دوننا ولم يقوموا بواجب المحافظة على الأمن كما يدعونها سبباً لبقاء انتدابهم. ولو شاؤوا الأمن لاستطاعوا أن يحقنوا كل دم فى فلسطين، وعندهم ٩٠ ألف مقاتل، ولكنهم كانوا يبتهجون أن يروا هذه المجازر ويشاهدوا تلك الفظائع الوحشية، فحتى متى نداريهم ونراعى خاطرهم؟

والآن ماذا قررتم أن تفعلوا أيها العرب الرجال مع هؤلاء الأنذال الذين لا يعرفون ما هى الإنسانية، وليس لهم قلوب بشرية! كيف يجب أن تعاملوا هؤلاء الكلاب الغلاظ الرقاب ذوى القلوب الصلاب؟

يجب أن تقرروا منذ الآن أن تكافئوا هؤلاء الأردياء هكذا:

أولا — مصادرة جميع أملاك اليهود وأموالهم فى البلاد العربية كلها باعتبار أنهم كلهم صهيونيون، وأن المدوان فى فلسطين هو عدوانهم وهم شركاء فيه. تصادر أملاكهم كما صودرت أملاك الطليان والألمان فى الحرب؛ وأن يعوض من هذه الأموال على عرب فلسطين ما نهبه الصهيونيون وما خربوه وما خسر العرب فى كل ناحية بسببهم.

ثانياً — يجب أن يذاع هذا الحكم على الصهيونيين لكى يعلموا أن كل ما يأتونه من المنكر فى البلاد العربية على الإطلاق يتحمل وزره إخوانهم فى كل بلد عربى، ولكى يعلم اليهود الذين فى مصر وغيرها من البلاد العربية أن كل مال جمعوه للصهيونيين يجب أن يسدد من أموالهم؛ لأن المال الذى فى أيديهم هو مال عربى، وقد اكتسبوه من العرب فلا يمكن أن يرسل إلى الصهيونيين لكى يحاربوا العرب به.

ثالثاً — أن يبلّغ صهيونو فلسطين أن كل ما نهبوه من أموال العرب، وكل ضرر أوقعوه على العرب سيؤخذ التعويض عنه منهم أضعافاً يوم الحساب بعد إتخاد عنفوانهم يوم الهزيمة، وأن كل نفس أزهقوها من أنفس العرب يجب أن يدفعوا ديتها أضعافاً، وأن كل نفس من أنفس النساء والأطفال والشيوخ سيقدمون مقابلها أضحية على مذبح الإله مارس.

رابعاً — أن يعلم هؤلاء اليهود الصلاب الرقاب أنهم لا يعاش معهم بعد قمع ثورتهم؛ بل يجب أن يطردوا من البلاد العربية كلها.

هذا ما نتوقع أن يفعله قادة الجيوش العربية منذ الآن إن كانوا يحسنون القيادة ويستحقون الزعامة ويرغبون فى صيانة حقوق العرب التى أضاعها تراخى الزعماء وتواكلهم. حسبكم يا قوم استخذاء!

نقولا الحداد

الفن الانســـــاني

للأستاذ أنور المعـــداوي

(مهداة إلى الفنان الإنساني محمود تيمور)

الصلة بين الفن والإنسانية صلة لا يحسها إلا الفنان الإنسان ... ولقد قلت مرة — وما زلت أقول — إن الفن إذا لم يستمد وميضه وحرارته من نبضات القلب الإنساني ، كان وميضه كوميض البرق ، وكانت حرارته كحرارة الحمى ... ! وكل أثر فنى تبدعه العبقرية أو تصوغه القريحة ، لايترك أثره فى النفس ولا بقاءه على الزمن ، ما لم تلتق ومضة الفكر فيه بخفقة القلب ، ولفتة الذهن بحركة الشعور ، ومنطق العقل بفورة الوجدان ... بشعاع من هنا وشعاع من هناك ، يشق ضوء الفن طريقه إلى لجاج الروح ، وشعاب النفس ، ومسارب العاطفة ، وبغير هذا كله يخبو البريق فى الفن ، وتبهت الصورة ، وتفنى صفات الخلود !

من أعماق النفس وأغوار الحياة ينبع الصدق فى الفن ... ولن يتهيأ الصدق فى الفن مالم يستخدم الفنان كل حواسه فى تذوق الحياة : يرقب ، ويتأمل ، ويهتك الحجب ، وينفذ إلى ما وراء المجهول ؛ فإذا استطاع أن ينقل كل ما يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفنى ، فهو الفنان ... وإذا استطاع أن ينقل إلى هذه اللوحات كل ما فى القلب الإنسانى من نبض وخفوق ، فهو الفنان الإنسان ... وعلى مدار القوة والضعف فى تلك النبضات ، يفترق العمل الفنى عن مثيله فى كل فن من الفنون ...

الفن الإنسانى هو أن يكون الفن انعكاساً صادقاً من الحياة على الشعور ... وأن يكون الشعور مرآة صادقة تلتقى على صفحتها النفس الإنسانية فى صورها الخالدة ، بكل ما فيها من اشتجار الأهواء والنزعات ... هنا تتحقق المشاركة الوجدانية التى تتمثل فى ذلك التجاوب الروحى بين الفن وصاحبه ، وبين الفن ومتذوقه ، وبين الفن والإنسانية ، بكل مافيها من اختلاف الميول والأذواق . ولسنا نقصد بهذا إلى أن يسير الفن فى ركاب المجتمع ... كلا ، وإنما ندعو إلى أن ينطلق الفن انطلاقاً يتحرر فيه من كل قيد يفرضه عليه طلاب الشعور المزور والانفعال المصطنع . عندئذ يستطيع الفن أن يتنفس فى أجواء لا يحس فيها مرارة الاختناق ، وعندئذ يلتقط الفن من طريق الحيـاة — وهو فى ظل الحرية — كل ما يتبقى فيها من رواسب العواطف المتباينة فى النفس الإنسانية .

إن الفنان هو من يعبر عن الحياة فيصدق فى التعبير ... وإلى هنا يكون الفن قد أدى رسالته التصويرية ، وهى رسالة تهدف إلى التصوير الأمين والعرض الصادق ، ولكن هاتين الميزتين قد تهز لهما فى نفسك عاطفة الإعجاب ، دون أن تهز لهما مكامن الشعور ... إن الإعجاب بالأثر الفنى شىء والاهتزاز له والتأثر به شىء آخر ؛ وهنا تبرز لنا الناحية الأخرى من رسالة الفن وهى الناحية الإنسانية ، تلك التى يكتمل معها الخلود فى العمل الفنى . إقرأ للقصاص الفرنسى جى دى موباسان أقصوصتين من أقاصيصه هما « الحلية » و « ولد »[1] ، تعجب بالأولى وتهتز من أعماقك للثانية ، ثم قارن بين الأقصوصتين تجد البون شاسعاً بين أثر هذه وتلك فى حساب الشعور . وما أبعد الفارق بين فن يترك أثره فى الذهن ، وفن يترك أثره فى النفس ... إن موباسان فنان مبدع هنا وهناك ، ولكنه فى « الحلية » فنان فحسب؛ فنان يستلهم قلمه ... أما فى « ولد » فهو فنان وإنسان ؛ إنسان يستلهم قلبه ... !

واقرأ بعد ذلك « رينيه » لشاتوبريان و « رفائيل » للامرتين و « آلام فرتر » لجوته ، تلمس أن نبضات القلب الإنسانى فى هذه القصص الثلاث ، لم تبلغ من القوة والصدق والعمق ما بلغته فى « أدولف » لبنجامان كونستان ؛ ومن هنا كانت « أدولف » فى رأى النقاد أكثرها بقاء على الزمن لأنها أكثرها إنسانية .. ولقد قرأت هـذه القصة مرات ، ولا أذكر أنى قرأت غيرها أكثر من مرة ، بل لا أذكر أن قصة تركت فى نفسى من الأثر مثل ما تركت « أدولف » ؛ ذلك لأن الفن إنما يقاس بمقدار أثره فى النفس ومدى صلته بمنف الوجيب فى القلب الإنسانى . وأنت حين تقرأ هذه القصص الثلاث ، تشعر أن كلا منها قد وضعت للجيل الذى عاشت فيه فهى لا تكاد تصلح إلا له ، وأن الفارق بينها وبين « أدولف » هو الفـارق بين الفن التصويرى الذى يقف بك عند فترة من الزمن لا يتعداها ، وبين الفن الإنسانى الذى يتخطى حدود الزمان والمكان(*) ولقد بلغ من عمق الصلة بين الفن والإنسانية فى « أدولف » ، أن اكتشف

(١) قام بنقل هاتين الأقصوصتين إلى العربية الأستاذ الزيات فى كتابه « من الأدب الفرنسى » ، ومما يجب الإشارة إليه أن الأقصوصة الأولى قد نقلها إلى العربية أكثر من قلم ، ولكن قلم الأستاذ صاحب الرسالة — فيا أعلم — هو خيرها دقة وأمانة وأصالة .

(*) (الرسالة) : هذا رأى نسمعه لأول مرة ، فكان على الكاتب أن يذكر الدليل الذى اعتمد عليه ، والنص الذى استند إليه .

النقاد أن هذه القصة لم تكن إلا تصوراً صادقاً لحياة مؤلفها ، وأن « أدولف » لم يكن فى الحقيقة إلا بنجامان كونستان ، وأن « إالينورا » لم تكن إلا الكاتبة الفرنسية مدام دى ستايل !

« أدولف » هى قصة القلب الإنسانى فى كل جيل من الأجيال ، يقرؤها كل إنسان فيشعر أنها قد كتبت له ، ويكاد يجد نفسه فى كل سطر من سطورها ... وهذا هو الفن الإنسانى الذى تتلقاه الإنسانية جديداً على مر الزمن ! ... الفن الذى يأخذ مادته من أعماق النفس ، ونبضات القلب ، وأغوار الحياة .

وعلى ذكر القصص الإنسانى أقول إنى شاهدت منذ أيام فى إحدى دور السينما قصة من القصص النادرة ، تدور حوادثها حول حياة الموسيقار روبرت شومان ... ولن أنسى أن هذه القصة قد هزتنى هزاً عميقاً ، لا بموسيقاها ولا بروعة تمثيلها ، ولكن بما حفلت به من لمسات إنسانية نفاذة استطاع كاتبها أن يدفع بها إلى مكامن الشعور فى النفس الإنسانية ؛ ولقد خرجت بعد انتهاء العرض وأنا أستعيد فى نفسى بعض تلك اللمسات التى حشدها الكاتب فى قصته ليصور بها الجانب الإنسانى فى حياة شومان ... ولعل مشهداً واحداً من مشاهد هذه القصة يقف وحده متفرداً ليترك أثره العميق فى النفس والحس ؛ هو ذلك الذى ظهر فيه شومان وزوجته وتلميذه يهيئون طعامهم بأيديهم بعد أن تخلت الطاهية عن خدمتهم .. هنا يقف الثلاثة حيارى أمام دجاجة ! . . لا تقوى نفوسهم الفنانة الشاعرة على ذبحها ؛ تمسك الزوجة بالسكين فتخونها قواها فتدفع بها إلى زوجها ، واضعة ثقتها فيه كرجل لا يرتاع لرؤية الدماء .. ويجمع الموسيقار أشتات شجاعته ، ولكنها تتناثر هنا وهناك فلا يبقى إلا العزم الخائر أمام شبح الجريمة ! . . ولا تجد الزوجة بداً من الاستنجاد بالرجل الآخر ليرد للرجولة كرامتها ، ولكن الرجل الآخر ما يكاد يقترب من الضحية والسكين فى يده حتى يرتد ضعيفاً مسلوب الإرادة أكبر إخفاقاً من صاحبه .. ولا تزال السكين حائرة بين أيديهم المرتجفة ، ولا تزال الدجاجة على قيد الحياة ! .. ويهتف روبرت شومان وهو ينظر إلى زوجته وتلميذه ، يهتف من أعماقه : لقد خلقت للعزف لا للذبح ! !

بمثل هذه اللمسات الرائعة ، ترتفع القصة فى الغرب إلى آفاق مشرقة من الفن الإنسانى .

وإذا ما تركنا الفن الإنسانى فى القصة إلى الفن الإنسانى فى التصوير ، تبرز لنا لوحتان فريدتان هما « العذراء والطفل » لرفائيل و « الجيوكوندا » لدافنشى . وعلى كثرة ما أخرج عباقرة الرسم من لوحات للعذراء والطفل فإن لوحة رفائيل تقف وحدها متفردة ، لا بظلالها وأضوائها وألوانها ، بل بشىء آخر هو قوة الوجه ... المعبر عن الإنسانية فى أنبل ملامحها ، وأجمل سماتها . إن الريشة التى أبدعت هذه اللوحة ريشة إنسان قبل أن تكون ريشة فنان ؛ إنسان أنطق أسمى مراتب الأمومة فى نظرات السيدة العذراء ، وأسمى مراتب النبوة فى نظرات السيد المسيح ... ومن هنا شقت لوحة رفائيل طريقها إلى القمة ، بينما وقف غيرها لا يتخطى السفوح ، لأن هذه من صنع المخيلة ، وتلك من صنع الشعور

من هذه الزاوية الإنسانية التى نظر منها الفن إلى رفائيل فى « العذراء والطفل » ، ينظر الفن مرة أخرى إلى ليوناردو دافنشى فى « الجيوكوندا » ... هى لوحة تمثل امرأة ، ولكن أية امرأة ؟ ! لقد استطاع دافنشى الإنسان أن يبعث فى عينيها المميقتين نظرات قديسة ، وفى شفتيها الرقيقتين ظل ابتسامة لا ترتسم إلا على شفتى ملك . وفى العينين والشفتين ركز دافنشى الإنسانية بكل ما فيها من معانى النبل والطهر والبراءة ، ولهذا كانت « الجيوكوندا » تمثل ذلك الجمال الروحى المتصل بالسماء ، بينما كان غيرها يمثل ذلك الجمال المادى المشدود إلى الأرض !

من كل هذه الأمثلة التى قدمتها إليك تستطيع أن تخرج بشىء واحد ، هو أن الفن إذا لم يستمد وميضه وحرارته من نبضات القلب الإنسانى ، كان وميضه كوميض البرق ، وكانت حرارته كحرارة الحمى ... !

أنور المعداوى

على ذكر حوادث فلسطين !

عـــار لا يمحى

للاســـتاذ شكرى فيصل

حين فتحت عينىّ فى الصباح كنت كالذى يستيقظ من حلم مرعب ... لم أكن شهدت ما يؤرقنى ويزعجنى ، ولكنى أعلم أنى أويت إلى فراشى وعلى شفتىّ هذه الأسئلة التى يدور بها ذهنى وينطلق بها لسانى : ماذا تفعل هنا ؟ أى شىء هذا العلم الذى تجهد له ، وتمنى فيه الوقت والصحة والشباب ؟ ما يكون من شأن العربية التى تمهل لها وتنطوى جنديا من جنودها إن قدر لصهيون أن تحقق أحلامها ، وأن ترفع أعلامها ، وأن تنشىء سلطانها فى هذه البقعة من البلاد العربية ... أين يقع هذا العمل الذى تحبس نفسك عليه من هذه المعارك التى تدوى ، والنفوس التى تستشهد ، والبلاد التى توشك أن تضيع بين حمق القيادات ، وحقد الزعامات وأطماع السياسات ، وحقارة الأغراض ... أين أنت ... وما شأنك وهذا الطريق ؛ لا طريق غيره قبل أن تسوى معالمه ، وترفع صواه ، وينتهى إلى غايته من طرد العدوان ، وصد الطغيان ، ورد الغزو الأحمق .

ولم تكن هذه هى الليلة الأولى التى أواجه فيها هذا الحساب المسير ... فقد كانت هذه الأسئلة تتخذ ألف لون ، وتصطبغ ألف صبغة ... وكانت تأخذ علىّ مسالكى فى النهار إذا ابتدأ النهار ، وفى الضحى إذا ارتفع الضحى ، وفى الظهيرة حين أقطع فى الظهيرة هذا الطريق الذى تستلق عليه الظلال مكدودة ممزقة ، بين الجامعة وهذا البرج العاجى القريب الذى أعيش فيه ... وكانت تسد علىّ دروبى كلما هممت أن أعمل أو أفكر أو أكتب ، فلا يكون فى طاقتى أن أخلص منها أو أنتهى بها إلى رأى حاسم. كانت تتجاذبنى موجات من لهبة الروح وخمود الجسم ، من دفقة القلب وخور الأطراف ، من قسوة الواقع ومن رخاوة النشأة .. فلم يكن لى أكثر من أن أرتد إلى هذا الماضى ألعن هؤلاء الذين سيطروا على ثقافتنا من رجال الانتداب ، فزينوا لنا الحياة جنة وحريرا ، وما كانت إلا لهبا وسعيرا ، وجهاداً كبيرا ...

وفى خطى مضطربة سريعة ، كنت أمضى لأمد يدى إلى الباب أجذب الجريدة التى ترك الموزع نصفها ممتداً إلى داخل البيت ونصفها الآخر على العتبة الخارجية ، فعل الرجل المعجل المسرع

***

وبدأت أقرأ ... وكان نبأ ... وكانت لحظات هى مزيج من الذهول العميق والدمعة الثرة .

حيفا ! ... إن كل صورة من صورها تنتثر أمام عينى فى وضوح شائك حاد ... إن أطيافها التى كانت فى ذهنى كالضباب المتم تشرق فى لحظة سريعة فى مثل لهب النار المتأججة ، وتسطع فى مثل تألق البرق النير ... إن أصواتها التى كانت صدى ضئيلاً ، نحيلاً ، بعيداً ، فى خاطرى لترن فى أذنى فى مثل القصف الفزع . إنى لأنظر فى الصحيفة التى بين يدى ولكنى لا أرى حروفاً ولا أشهد كلمات ... وإنما أرى هذه المدينة التى مررت بها مرات ومرات فى طريقى إلى القاهرة ، وفى طريقى إلى دمشق . إنى لا أحس ما حولى ... لكأنى فى هذه اللحظات أذرع هذا الشارع ، شارع الملوك ، وأنحنى أدخل فى الشوارع القديمة التى تمتد وراءه ... إنى لا أسمع هذه الأصوات التى تتعالى هنا تحت نافذتى ، وإنما أنا أستمع إلى هذه الأصوات التى « كنت أعيش معها يوماً من كل عام ... إن آلافاً من الصور السريعة ، المتتابعة ، المتلاحقة ، تغزونى : الفندق والمطعم وسكة الحديد ، المحطة القديمة التى أقامها العثمانيون ، والمحطة الجديدة التى أقامها اللصوص المنتدبون ... المدينة القديمة والدكاكين الواطئة والأسواق المغطاة والتجار الدمشقيون وأبناؤهم وإخوانهم وجيرانهم ... باعة الكتب هؤلاء الذين كنت أرقب عندهم مطبوعات فلسطين وما يتيح الوضع القلق للمؤلفين الفلسطينيين أن ينتجوه ... المسجد الجامع الذى كنت أصعد إليه على سلم رخامى عريض ، والمسجد الآخر الذى كنت أجتاز إليه سوقاً ضيقة مغلفة بالعتمة ... آلاف العمال العرب ، والوجوه العربية ، واللسان العربى بهذه اللهجة التى كانت تضم فى حيفا كل لهجات فلسطين؛ هذه كلها كانت تنثال علىّ وتنطلق من ذاكرتى كالنبع الفوار المضطرم ... لم يبق فى حيفا شارع أو طريق ، مشهد ، أو موقف ،

دكان حقير أو جليل ، شيخ كبير أو عامل صغير ، عامل دءوب من عمال المحطة ، أو صديق كريم من التجار ، أو مجاهد نازح منذ نزح فيصل العظيم عن دمشق ... لم يبق فى حيفا القديمة أو حيفا الجديدة هذه التى كنا نسعى إليها فى مقر المراقبة لنعرض جوازاتنا وأوراقنا وأقلامنا ونتاج عامنا الدراسى على قوم بكم عجم نستأذنهم المرور بهـا فى بلادنا وأوطاننا ... هذه كلها عاشت فى ذهنى مرة واحدة ... لقد انتفضت كما ينتفض العصفور الجريح بعد أن تكون مرت به سكين بارقة بيضاء وخرجت وردية حمراء .

***

والآن ... ماذا بقى من حيفا هذه التى عرفنا ... ماذا أبقت منها بلاغات الزعماء ، وتصريحات الرؤساء ، وأحقاد قادة العرب . يا ويلى حين أتمثل أى شىء أبقت الحادثات من حيفا ... إنى لأجد النار التى تـكوينى ، والسياط التى تؤذينى ... إنى أهرب من نفسى لأنى أخجل من نفسى أن أقول الذى كان ... ليس فى يدى هذه الأداة الطيعة التى تنساب فوق هذه الأوراق ، فقد كفرت بالأقلام والأوراق ... وماذا يقول الـكاتبون إن كتبوا ... ويح الذين يسألونهم أن يكتبوا ، كأنما يسألونهم أن يقصوا عليهم قصة من تاريخ قديم لأمة منقرضة ، يزينون حواشيها ببلاغة القول ، ويفيضون على أطرافها بريق الأدب ، ويذهبون ببعض مواقفها فى شطحات الخيال ، وينمقون نظمها بروعة الأساليب ، ثم يدعونهم أن ينعموا بما فيها من فن أو بيان ؛ والمصيبة التى تحل فى فلسطين مصيبتهم ، والوطن الذى يُغتصب وطنهم ، والأعراض التى تنتهك أعراضهم ، ومواكب الذين أجلوا عن ديارهم أمام أعينهم فى كل عاصمة من عواصم العرب ... كأنما لا يزال هناك حاجة إلى حمية تستثار ، وحماسة توقظ ، ومقالات تكتب وتنشر .

وماذا يكتب الـكاتبون ؟ هل يسجلون الخزى ، ويؤرخون العار ؟ ... هل يقولون كان هنا مسجد فاندثر المسجد ، وكان هنا سـوق فسويت السوق بالتراب ، وكان هنا حرمات وذكريات فديست الحرمات ودفنت الذكريات ... أفيستطيع القائلون أن يقولوا كان هنا أعراض فانتهكت الأعراض ، وكان أطفال ونساء فهام الأطفال والنساء على وجوههم ؟ كان هنا مدينة عربية - ثانية الموانىء العربية على البحر العربى ثم مرت بها ساعات مجنونة مسحورة فانتزعت من أهلها ، وأطبق عليها الأعداء من فوق ، فى مثل سرعة اللص النادر ، وخفة المجرم المدرب ، وتنظيم الـكيد المبيت ... فلم يدعوا فيها أثراً لعروبتها ... ثم طفقوا يغنون ويرقصون ويشربون على أشلاء القتلى وأنفاس المنكوبين الحرى ... ثم مضوا يفعلون ويفعلون ، وتتصاعد عشرة آلاف « وا معتصماه » من عشرة آلاف قلب ، قلب طفلة غريرة ، وفتاة نضيرة ، وزوجة وفية ، وامرأة حامل ... ثم لا يكون فى أمراء العرب ، ورؤساء العرب ، وأقطاب العرب ، من مشارق الحجاز وهضاب نجد ، وغوطة دمشق ، وغابة بيروت ، وظلال الوادى ، « معتصم » واحد يسرع إليها بجيشه ، لا يحميها ، ولـكنما يتخذها جنة ووقاء لأعراضه وأوطانه التى سيسرى إليها الداء ... وإنمـا يكون فيها « معتصمون » بالهدوء يخافون لوم اللائمين فى الدنيا ولا يخافون عذاب الله فى الآخرة وذلة الخزى فى التاريخ ... ويرجون السيادة بعد أن انتزعت منهم صرة السيادة ، ويأملون لذراريهم الخير ولم يبق شىء من الخير لهم حتى يورثونه ذراريهم ؟ ويلتزمون الحذر ، وما هو إلا الضـعف والخور ... ويتدفقون بالأحاديث ولا يزالون ، لا تحس فيها وهج النـار ، ولا تجد لها رائحة البارود ، ولا تسمع لها قصف المدفع وثقل العتاد ، ولا تشعر أن وراءها جلبة جيش ودوى تـكبير ... وإنما هى لا تزال تنضح بالعطف ، وتنشر السلم ، وتنثر الأزاهير ، ثم لا تنسى أن تحتمى بآيات من كتاب الله وأحاديث رسول الله ... والويل لهم من يوم الله ... ما كان الله ليرتضى منهم هدوء الموت وسياسة الضعف ، وحذر الجبناء .

***

أى عار هذه المذلة التى يلقاها العرب فى محنتهم الحاضرة ! .

أى قدرة على الحياة هذه التى يستطيعون أن يباهوا بها ، أن يتقدموا بها إلى العالم المتمدن برهاناً إذا ظل الـكرمل هو الـكرمل ، وظلت حيفا فى قبضته فى إسار الذل وذل الهوان ! ... أى خديعة أرادها لهم هؤلاء الحياديون الذين يصدر عنهم الشر وينتهى إليهم الشر . أى بلاهة سيرميهم بها التاريخ إن لم يرفعوا هذا الإصر ، ويحطموا هذا الغل ، ويستنقذوا الشرف الذى غلب عليه المكر ، واصطلحت عليه عوامل الغزو والسلب ، وبات طريداً شريداً تنزف من جراحه

الدماء ، من ورائه نار ومن أمامه بحر ، ومن دونه ودون الإنقاذ قوم ينامون على الوعود ، ويستكينون للثقة ، ويلينون لمعسول الأحاديث الخلب ، ويؤازرون أعداءهم بالأمن ويحملون إليهم السلام محلا على جثث من قتلاهم ، وأشلاء من موتاهم ، ودماء من دمائهم !!

كانت فى هذه البقعة من الأرض حيفا عربية ... ولن يكون فى قدرة أحد من الذين يتطلعون إلى المجد العربى ، ويعملون ليقظة الإسلام أن يتحدث عن الشعب العربى ، عن توثبه ، عن أمله المريض ، عن جامعته ووحدته ، قبل أن تعود حيفا عربية من ذروة الجبل إلى قدميه اللتين تستلقيان على شاطىء البحر وأمواجه ، قبل أن يغسل هذا العار الذى يكسو كل هضبة من هضاب الكرمل ويقف عند كل ثنية من ثناياه ، ثم يرمى بأرجاسه وأحجاره بعيداً ، بعيداً ، فى سط البحر ... قبل أن يقف عشرات المؤذنين فى عشرات المساجد ينادون من جديد : الله أكبر ، الله أكبر .

لن يكون فى أعناقنا ولاء لأى واحد من هؤلاء الذين يتمثل فيهم سلطان العرب قبل أن يمحى هذا العار ... إن فى يد كل زعيم عربى أثرا من رجس ، وإن أيدينا لن تصافح من جديد إلا أولئك الذين طهروا أيديهم من هذا الرجس وغمسوها فى دم أعدائهم سبع مرات متواليات .

***

لا الذين يحمون بيوت الله ، ولا الذين ينقمون لرسول الله ، ولا الذين يحيون شرع الله ، ولا الذين يدعون العروبة قبل محمد نبى الله ... ليس أحد من هؤلاء جميعا أهلا لأن يكون حيث يريد أن يكون حتى يكشف غمة هذا الخزى الذى يعيش فى وطأته كل هذه الملايين ... وحينذاك ... حينذاك فقط سيكون فى الخالدين ... سيكون فى هذه الصفحة المشرقة التى يشع فيها وهج محمد ، والتى تتلألأ عليها بحروف متوهجة نيرة أسماء سعد وعمرو وطارق وموسى وصلاح الدين ونور الدين وإبراهيم باشا .

أما قبل ذلك ... فدعونا نردد قول الله : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ... ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً .

القاهرة (ص . ب ١٣٧٥) **شكرى فيصل**

عبد الله بن سبأ

(بقية المنشور على صفحة ٤٥١)

ونستطيع أن نقول بعد مقارنة المراجع التى ورد فيها ذكر عبد الله بن سبأ ، أننا لم نجد حتى الآن أى مصدر يفصل لنا حياة هذا اليهودى المسلم ، وقد ذهبت أكثرها إلى أنه كان من أهل اليمن وأنه كان من مدينة « صنعاء » عاصمة اليمن والتى لم ذكرها فى عهد الأحباش خاصة ، وأنه كان يهودياً فأسلم وصار يتنقل فى الأقطار الإسلامية حتى انتهى به المطاف فى العراق حيث نزل البصرة ثم الكوفة ثم الشام ؛ غير أنه لم يجد من بين الشاميين أنصاراً ، فذهب إلى مصر حيث راجت دعوته هناك ووجد له أتباعاً ، ولعب دوراً كبيراً فى الفتنة التى أثارها على الخليفة عثمان .

وقد عرف هذا الرجل بصورة عامة باسم « عبد الله » وأما اسم والده فهو « سبأ » . وبندر ورود هذه الكلمة على أنها اسم شخص (١) . وقد ورد فى بعض الكتب على أنه عبد الله ابن وهب أو وهاب بن سبأ (٢). أو عبد الله بن وهب السبائى (٣) نسبة إلى سبأ . وزعم أنه كان على رأس الخوارج . ويعنى بهذا أنه من « سبأ » أى من أهل اليمن ، فهو من أصل عربى جنوبى على زعم الرواة (٤) . وربما كانت هذه النسبة هى التى جعلت الأخباريين يتصورون أن اسم والده هو سبأ . على كل حال لا نستطيع أن نعرف اسم والده بالضبط .

وقد اشتهر عبد الله كذلك بابن السوداء ، ويظهر من رواية الطبرى أنه إنما قيل له ذلك لأن أمه كانت سوداء ، فعرف بابن السوداء . وقد فرقت بعض المصادر بين « عبد الله بن سبأ » و « ابن السوداء » فجعلت بعضها عبد الله بن السوداء رجلا آخر كان يمين السبائية « السبابية » على قولها ، وأنه كان فى الأصل يهودياً غير أنه كان من أهل الحيرة (٥) .

جواد على

(١) القاموس طبع كلكتا حـ ١ ص ٢١
(٢) خطط مقريزى حـ ٢ ص ٣٥٦
(٣) Friedländer , P , 19 ذهبي مشتبه طبعة « De Jang » حـ ٢ ص ٢٥٠
(٤) الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٧ بين شعب وبين اسم شخص .
(٥) البغدادى فى مادة « السبابية » .

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى

سفير إيران بمصر

سعادة الدكتور قاسم غنى سفير ايران بمصر شخصية علمية من الطراز الأول ، لم يمض عليه فى مصر الأشهر معدودات ومع ذلك استطاع أن يكسب لنفسه ولأمته أصدقاء ممتازين ، لا فى المحيط الاجتماعي والدبلوماسى فحسب ، ولكن فى المحيط العلمى أيضاً ، وقد كان ذلك واضحاً فى قاعة المغفور له على ابراهيم باشا بكلية الطب ، ثم فى قاعة دار الحكمة حيث ألقي الدكتور السفير العالم محاضرته عن « تاريخ الطب الإسلامي » فكنت ترى الحاضرين مزيجاً مختلفاً مابين سياسيين ووزراء وعلماء وأطباء وآباء روحانيين وغيرهم مما لم تألف قاعات المحاضرات فى مصر شهوده كثيراً ، وكلهم أصدقاء للدكتور قاسم غنى معجبون بعلمه وأدبه وفضله

ولقراء الرسالة عهد بهذا العالم البحاثة من قبل ، فقد قدمه اليهم سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى عدد من اعدادها . وهو الآن مهتم بنقل كتابه العظيم الذى الفه بالفارسية عن « التصوف الإسلامى » إلى اللسان العربى .

وقد ظفر صديق من أصدقاء الدكتور والرسالة بهذا البحث العلمى القيم ، الذى ألقى فى كلية الطب ودار الحكمة فآثر به قراء الرسالة ، وها نحن أولاء نقدمه فى أعداد متوالية شاكرين معجبين :

« الرسالة »

١ — طب العرب فى الجاهلية :

فى بدء ظهور الإسلام عند ما كانت الشريعة الجديدة لم تتجاوز بعدُ حدود القبائل العربية فى الحجاز إلى سائر بلاد العالم كان معظم القبائل العربية ، مثل بقية القبائل البدوية لا يهتم بالعلوم والفنون المختلفة ؛ وكان جل اهتمامهم منصباً على التعمق والتوسع فى علوم العربية وأحكام الشريعة الإسلامية .

وبما أن معالجة المرضى وتمريضهم من الأمور الطبيعية لدى الإنسان ، وأن لجماعات البشر حتى فى بداوتها غريزة حفظ الحياة ، وأن حاجتها لتسكين آلامها وأوجاعها تجبرها على البحث عن العلاج اللازم لأدوائها وأوجاعها ؛ فكان لابد من أن ينشأ بينها نوع من الطب والعلاج البدائى وقد كان . فقد ظهر وشاع طب من هذا القبيل بين القبائل العربية البدوية .

وقد كان الطب الشائع بين القبائل العربية فى مبدأ ظهور الإسلام عبارة عن بعض المعالجات التجريبية ، مقرونة بأعمال السحر والخرافات كما كانت الحال لدى أكثر القبائل الرحل ، وكما لا يزال شائعاً إلى يومنا هذا لدى بعض الأقوام غير المتحضرة ، فإن عوامل شتى كالمصادفات والتجارب والاختبارات ومشاهدة الطبيعة ، والنظر فى أحوال المرضى واتباع الغرائز الطبيعية والدوافع الفطرية وتقليد الحيوان ، والتدبر والتفكر فى أعماله ، دفعت الإنسان للوصول إلى تدابير طبية ، وهدته إلى اتخاذ وسائل علاجية ، ثم أضيف إلى ذلك كله بالتدريج ، عقائد ومعارف وافتراضات صحيحة وغير صحيحة مثل الشبه الموجود بين الإنسان والعالم الأكبر ، وتأثير النجوم والكواكب والأجرام السماوية الأخرى فى الإنسان ، وعبادة الأرواح ، والاعتقاد بتناسخها ، وعودتها إلى الأجسام ، والإيمان بوجود الجن والشياطين والأرواح الخبيثة ، وحلول الشياطين والأرواح الشريرة فى بدن الإنسان وتسببها للآلام المبرحة ، إلى غير ذلك من المعتقدات ، فتكون من مجموع ذلك كله نوع من الطب ، كما أشرنا إليه آنفاً .

وقد كان جماعة من الشيوخ المجربين ومن بعدهم أبناؤهم والمتصلون بهم ممن كانوا يشاهدون التجارب والمعالجات التى يقوم بها الشيوخ ، كانوا يقومون بعلاج المرضى؛ وهؤلاء يمكن اعتبارهم أطباء تلك الحقب . وكان عدد قليل من العرب ممن درسوا الطب فى البلاد المجاورة لجزيرة العرب ، ولا سيما إيران يزاولون مهنة الطب بين قومهم؛ منهم الحارث بن كلدة الذى كان قد درس الطب فى مدرسة جند يسابور ، وابن أبى رمثة التيمى ، وكان جراحاً معروفاً ، وزينب ،وقد اشتهرت بمعالجة الرمد والجراحات .

وقد كان ظهور الإسلام سبباً فى لم شعث القبائل العربية البدوية ، إذ أنشأ جامعة سياسية ودينية واجتماعية قوية لهم ، استطاعت فى زمن وجيز أن تقلب أوضاع العالم المتحضر حينذاك رأساً على عقب ، وأن تخالف امبراطوريتى الفرس والروم .

وقد كان من آثار غلبة العرب على أقوام كانت تسبقها فى الحضارة والعلوم والفنون أن اقتبس العرب كثيراً من علوم تلك الأقوام وفنونها ، فإن تقدمهم السريع واستقرار مدنيتهم ، كانا يستلزمان هذا الاقتباس .

ولابد لمرفة مصادر الطب الإسلامى من أن نلق نظرة إجمالية على تاريخ الطب قبل الإسلام وفى العصر الأول الإسلامى لنعرف كيف ومن أى الأقوام وعن أى طريق وصلت تلك العلوم ! ومن حملها الطب إلى العرب ، والحالة التى كانت عليها تلك العلوم عندما تلقاها المسلمون عنها . وبعد ذلك نستطيع أن نعرف إلى أى حد خدم المسلمون هذه العلوم ومبلغ ما نالته تلك العلوم على أيديهم من تقدم وعظمة .

٢ — *مصادر الطب الإسلامى* :

لقد أسلفنا القول فى أن الأمم القديمة جميعها كان لها نوع من الطب والعلاج ، وأن تاريخ ظهور الطب هو تاريخ ظهور النوع البشرى ، أعنى أن الأمراض والأوجاع المختلفة لازمت الإنسان الأول منذبدء الخليقة وأن الآثار التاريخية التى اكتشفت عن الإنسان الأول تدل على وجود آثار بعض الأمراض لديه ، ومن الثابت أن الإنسان — مثل سائر الحيوان — كان يبحث بحكم الغريزة والفطرة والإيحاء الطبيعى عن علاج لتسكين آلامه وإبراء أمراضه .

وقد كان لدى بعض الأمم القديمة كالصينيين وسكان ما بين النهرين ومصر وإيران والفنيقيين واليهود طب مدروس مدون ، وكان الطب يعتبر لديهم مهنة خاصة لها ناحيتان علمية وعملية ، غير أن اليونان من الأمم القديمة تعتبر الأمة التى بلغ الطب لديها شأواً عظيماً من الرقى ، وكان له لديها شأن جليل .

وكان بلوغ الطب هذه المنزلة الرفيعة لدى اليونان بفضل بُقراط الذى يُدعى بحق (أبا الطب) .

لقد عاش بقراط فى عصر من أزهى عصور الرقى العلمى فى اليونان ، أعنى عصر بركليس الذهبى الذى ظهر فيه كثير من علماء اليونان أمثال توسيديد ، وفدياس وسوفوكل وأوريبيد . ويعد بُقراط بحق أعظم أطباء الأمم القديمة علماً وعملا ، وقد بقى زهاء ألفى عام شخصية طبية مسيطرة على عالم الطب فى الدنيا كلها ، وقد كانت أقواله وآراؤه المرجع الوحيد فى هذا الباب وعليها المعول طوال هذه الحقبة حتى النهضة الأوروبية .

وإن الشطر الأكبر من المعارف التى رتبها ونظمها بقراط عن الطب مأخوذ ومقتبس من سائر الأمم أو اليونانيين السابقين عليه فى الزمان ، غير أن له فضل دراسة كل هذه المعارف ونقدها والوصول عن طريق النقد والبحث العلمى إلى معارف ومعلومات جديدة .

وقد كانت هذه هى الطريقة التى جرى عليها كثير من مواطنيه أمثال أفلاطون وأرسطو كلٌّ فى بابه — فقد اقتبسوا من معارف الأمم التى سبقتهم أوالتى عاصرتهم ، واستفادوا منها ، ولكنهم لم يكتفوا بذلك ، بل درسوا تلك المعارف ، ونقدوها نقداً علمياً دقيقاً ، وفرقوا بين أصولها وفروعها وغثها وسمينها ورتبوا استنتاجاتهم وبوّبوها على خير وجه ، ووضعوها فى متناول طالبى العلم فى العالم أجمع .

لقد خلص بقراط الطب من أجواء الهياكل والمعابد المشبعة بالأسرار والألغاز ، وحرره من قيود الكهنة ورجال الدين ، وأقامه على أسس العلوم الحيوية الصحيحة ، وأرجع المرض والحياة لقوانين طبية ثابتة ، وبرهن على أن الوصول إلى تلك القوانين الثابتة ممكن عن طريق دراسة الطبيعة دراسة دقيقة وافية ، كما بين الروابط التى تربط العلة بالمعلول . وقد جعل أساس كل بحوثه الطبية الدرس والتجربة بعد أن وازنهما بالنظر والاستدلال والمنطق واهتدى بهديهما ، ولاءم بين التجارب العملية والأمور النظرية ، وقد وُفق فى ذلك توفيقاً عظيماً .

يعتقد بقراط أن الإنسان جزء من الطبيعة والكون ، وكما أن كل كائن حى فى هذا الوجود مرتبط بالطبيعة طبقاً لقواعد مقررة وقوانين ثابتة ، كذلك الإنسان فإنه خاضع لهذه القواعد والقوانين نفسها ؛ والموازنة بين العوامل الطبيعية هى الصحة والحياة ؛ وإن قُوى الفرد كلها تهدف لإيجاد هذا التوازن والتعادل .

وعند ما يختل هذا التوازن لعلل خارجية ، تبادر جميع قُوى الفرد لدفع هذه العوامل الخارجية والعلل الضارة وإيجاد التوازن المطلوب وإقراره ، وأن مهمة الطبيب مقصورة على خدمة طبيعة الفرد ومساعدتها فى هذا المسعى الحيوى الذى تقوم به ، ولذلك كان يسمى الطبيب بخادم الطبيعة .

وحيث أن تشريح الجثث الإنسانية كان غير مستطاع حينذاك وكان علم التشريح وعلم وظيفة الأعضاء ناقصين تبعاً لذلك ، فإن المعارف التى كانت لدى بقراط عن الطب لم تكن كبيرة من

حيث الكم ، فإن دائرة معارفه عن الأمراض كانت ضيقة لا يستطيع بها إيضاح تطورات المرض وتحولاته كما ينبغي ؛ غير أن معارفه كانت على مبلغ عظيم من الأهمية من حيث الكيف .

لقد بنى بقراط طريقته على أساس علمي متين ، فقد فصل الطب عن الدين فصلاً تاماً وجعل حالة المريض نفسه أساساً لعلاجه .

ويتضح من صيغة القسم المعروف بعهد بقراط ومن الرسائل الطبية التي ألفها ، أنه قد حدد بوضوح تام حقوق الطبيب ووظائفه وواجباته الأخلاقية والاجتماعية ، كما يتبين من ذلك كله أنه قد أضفى على هذه المهنة صورة خلقية ، وجعل منها عملاً إنسانياً وقياماً بالواجب محتماً ، وكان هو نفسه مثلا حياً للأخلاق الفاضلة من إيمان بالحق ودفاع عنه وحب للخير وإيثار وعطف على المرضى والموجعين ، وهمة عالية في نشر العلم والعرفان وغيرة عليها لا تجارى .

وقد ترك بقراط للعالم مجموعة طبية تعتبر أقدم تراث طبي قدم للبشرية ، وأثمن مجموعة ، ألا وهي المجموعة الأبقراطية Corpus Hippocraticum - وفيها بحوث عن جميع النواحي النظرية والعملية في الطب ؛ وتعد أهم مصادر الطب الإسلامي .

واحتذى إبنا بقراط وصهره وبعض تلاميذه من بعده حذوه وترسموا خطاه في بحوثهم الطبية . وأضاف إليها أفلاطون وأرسطو بنظرتيهما الفلسفية آراء في كليات الطب . ثم ظهرت في المدن وبعض الجزر اليونانية مجامع أوحلقات مهمة لدراسة الطب . وبرز كثير من الأطباء الكبار في هذا المجال وكانوا جميعاً مع تفاوت في الدرجة من شراح مؤلفات بقراط وآثاره إلى أن أصبحت الإسكندرية مركزاً للعلوم الطبية اليونانية ، وأجيز تشريح جثث الموتى وتقدم علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء تقدماً كبيراً .

فالإسكندرية كانت بالنظر لموقعها الجغرافي وماضيها الاجتماعي محل اختلاط شتى القبائل والأقوام الإفريقية والآسيوية والأوربية وكانت من أهم المراكز الاجتماعية والثقافية في الدنيا القديمة ، لذلك تجمع فيها معارف مختلفة من مصادر شتى أضيفت هذه كلها إلى طب بقراط .

وقد انتشر طب اليونان بين الروم أيضاً ، وكان معظم القائمين بمزاولة هذه المهنة من اليونانيين أنفسهم إلى أن ظهر في القرن الثاني للميلاد ، أستاذ عظيم آخر في عالم الطب ، وهو جالينوس .

أجل ، كان هناك في الحقبة الواقعة بين عصر أبقراط وعصر جالينوس عدد من كبار الأطباء أمثال تيوفراست Thèophraste وديكلس Deocles ، وسلس Celse ، وديوسقوريدوس Dioscoride ، وبليناس الحكيم Pline L. ancien وكاليوس أورليانوس Caelius Aurélianus ، وارته Artée وغيرهم . وقد أضاف كلٌّ منهم شيئاً جديداً إلى المعارف الطبية القديمة كما أظهر بعضهم نظريات حديثة أحياناً . غير أن أساس الطب بصورة عامة لم يتغير عما كان عليه في زمن بقراط ، إلى أن ظهر جالينوس العظيم من برغامس Pergames وهو من يوناني آسيا الصغرى ، فكان الشخصية الطبية العظيمة الثانية بعد بقراط .

لقد تلقى جالينوس دروسه الأولى في مسقط رأسه ، ثم استمر في تلقي العلم في جزيرة كورينتس Corinthes ، ثم رحل إلى الإسكندرية ، فتلقى فيها الطب علماً وعملاً ، ثم شدّ رحاله إلى جزيرة قبرص وجزائر أخرى من جزائر البحر الأبيض المتوسط وفلسطين ، وكانت رحلاته كلها للدرس والبحث عن الأعشاب الطبية والاتصال بعلماء تلك البلاد ، ثم عاد بعدها إلى موطنه ومارس مهنة الطبّ هناك مدة ، ثم استقرّ به المقام في روما وأسس فيها حلقة لدرس الطب في حي مارك أورل .

وكان عالماً محباً للعلماء والفلاسفة واشتغل أيضاً بمزاولة الطب هناك ، وكان يقوم في نفس الوقت بتربية جماعة من تلاميذه كما كان يقوم بتأليف مؤلفات مهمة في علم الطب أصبحت فيما بعد مصدراً من أهم مصادر الطب الإسلامي .

وكان جالينوس يعد بصفة خاصة أستاذ علم التشريح غير منازَع مدى أربعة عشر قرناً ، أي من القرن الثاني للميلاد إلى القرن السادس عشر منه . وكان جميع أطباء القرون الوسطى ومن ضمنهم الأطباء المسلمون يدرسون التشريح عن طريق مؤلفاته ، حتى ظهر في القرن السادس عشر للميلاد الطبيب البلجيكي الشهير فزال من علماء التشريح الكبار (1) مؤلف في التشريح برهن

(1) Anbrè Vèsale أكبر علماء التشريح في القرن السادس عشر للميلاد ، وقد كان يقوم بتشريح جثث الموتى طبقاً للطرق العلمية الصحيحة وله مؤلف عظيم في التشريح أوضح فيه الأخطاء الموجودة في تشريح جالينوس

فيه على وجود نقائض فى تشريح جالينوس فأسقطه من الاعتبار .
والخلاصة أن اليونانيين وضعوا أساس علم الطب بالاستعانة بمعارف سائر الأمم وتجاربهم . ومن أهم رجالهم فى هذا الصدد بقراط العظيم الذى أقام بحوثه على أساس البحث والتحليل والنقد العلمى والتجارب ، فأبرزه لنا بصورة علمية صحيحة ؛ وسعى خلفاؤه من بعده فى هذا البناء على تلك القواعد المتينة . ثم تقدمت الدراسات الطبية فى الإسكندرية ؛ وظهر بعد ذلك جالينوس فى القرن الثانى فدون معارف العلماء المتقدمين وأظهرها بصورة علمية منظمة واضحة .

وقد تهيأت مقدمات سقوط امبراطورية روما الغربية نتيجة لضعفها وفساد الإدارة فيها وحدوث حوادث اجتماعية وسياسية مختلفة ، ووقوع حروب وتفشى أمراض ، ثم سقطت تلك الإمبراطورية ، ونتج عن سقوطها أن مراكز العلم والحضارة أصبحت هدفاً لهجوم القبائل البربرية ؛ إذ أن هؤلاء البرابرة انحدروا من جبال الإلب واستولوا على إيطاليا ، وكان من جراء ذلك أن العلوم والفنون ومن ضمنها الطب لم تتوقف عن التقدم فحسب ، بل عادت القهقرى ثانية ، واستولى على الطب السحر والشعوذة والدجل والخرافات ، وحلت التمائم والعزائم محل العقاقير والأدوية الطبية مرة أخرى .

ولم يكن انتشار الدين المسيحى واعتناق الناس له بصورة رسمية فى روما الشرقية — الامبراطورية البيزنطية) مشجعاً للعلماء إذ أن الكنيسة كانت تعتبر العلم والفلسفة مخالفين للشرع نوعا؛ ما لذلك قامت بسد أبواب المدارس والقضاء على المجامع العلمية واعتبرت العلماء والفلاسفة كفرة مارقين عن الدين . ففى القرن الخامس للميلاد مثلا أغلقت الكنيسة أبواب مدرسة الرها (أوس) وكانت قائمة محل أورفة الحالية — وطردت منها النسطوريين فرحل جماعة منهم إلى إيران والتجأت إليها ، وكان لبعضهم فضل كبير فى تقدم مدرسة جندى سابور . وكان هؤلاء — النسطوريون من اتباع نسطوريوس أسقف القسطنطينية الذى نفى منها بناء على طلب المجامع الدينية بتهمة الابتداع فى الدين ، والذى مات حوالى سنة ٤٤٠ ميلادية بمصر ، وتفرق معظم اتباعه وتلاميذه فى بلاد سورية وبين النهرين وإيران وعاشوا فيها ونشروا الحضارة اليونانية فى أرجائها وفى سائر بلاد الشرق بترجمتهم للمتون اليونانية إلى اللغة السريانية (الأرامية الحديثة) وتأسيسهم المدارس فى (الرها) و (نصيبين) وبعض المدن الأخرى ، واشتغال بعضهم بتدريس العلوم المختلفة كالرياضيات والفلسفة والطب وغيرها فى مدرسة جند يسابور . وفى القرن السادس للميلاد عند ما طرد الفلاسفة الوثنيون الأفلاطونية الحديثة Neo Platénien من الأسكندرية بناء على أمر الامبراطور جوستنيان الأول واضطهدوا أولى هؤلاء وجوههم نحو بلاد الشرق وانضموا إلى النسطوريين .
وانضم إليهم كذلك جماعة من اليهود والأقباط ممن كانوا على اطلاع واف على علوم اليونان وقاموا جميعاً بنشر العلوم والمعارف اليونانية ومن جملتها الطب فى بلاد الشرق .

هذا مجمل تطور الطب قبل الإسلام ذكرناه مقدمة لما نريد أن نبسط فيه القول فيما بعد . وبعد هذه المقدمة ليس فى وسعنا أن نفهم بصورة جلية كيف كانت حالة هذه العلوم عند ما اتجه نحوها المسلمون وبأية درجة كانت فى متناول أيديهم ، وما مبلغ اقتباسهم منها ؛ وأخيراً ما هى الخدمات التى أسداها المسلمون لتلك العلوم وكيف أسديت إليها .

(يتبع)

الأحـــــــلام

بين التأويل الفلسفي والتعليل العلمي

للأســـتاذ عبد العزيز جادو

« إنما نحن كالمادة التى صنعت منها الأحلام » قولة قصد بها شكسبير دون شك ، المساعدة على إيضاح لغز الوجود . ولكن السرّ تحوّل فقط من « نحن » إلى « المادة التى تصنع منها الأحلام » . فما هى مادة الأحلام ؟

منذ بداية القرن الحالى ، أجاب كثيرون عن هذا السؤال كلٌّ بما يعتقده صواباً . وأحدث نظرية نعرف أنها تتعلق بهذه المادة التى تصنع منها الأحلام ، هى التى قامت فى الزمن الذى سجلته التوراة : كان الحلم نبوءة ؛ لذلك كان يحتاج إلى تعبير . ومن هذا الإعتقاد ، نشأت أنظمة للتعبير متفاوتة فى الإجادة والإتقان . فالتفسيرات أو التأويلات التى كان يستعملها سيدنا يوسف تبدو بسيطة نوعاً . فحُزَمُ القمح إذ تنحنى تعبيرها أن إخوته يقدمون له الولاء والطاعة . ورؤيته الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، تنبئ بصورة ما ، عن عظمته المستقبلة

« يُوسُفُ أيُّها الصِّدِّيقُ أفتِنَا فِى سَبْعِ بقراتٍ سِمانٍ يأكلهنَّ سَبْعٌ عِجاف وَسبع سُنبلاتٍ خُضر وأُخر يابسات لعلى أرجعُ إلى الناس لعلهمْ يعلمون . قال تَزْرعون سَبْعَ سنين دأباً فما حصدتمْ فذرُوهُ فى سُنبله إلاّ قليلاً مما تأكلون . ثمّ يأتى منْ بعْدِ ذلك سبعٌ شداد يأكلنَ ما قدّمتم لهنّ إلا قليلاً مما تحصِنُون . ثمّ يأتى منْ بعْدِ ذلكَ عامٌ فيه يُغاثُ الناس وفيه يَعصرُون »(*)

إذن كان يوسُف أكبر مُفسر للحلم على أنه نبوءة من نبوءات المستقبل . ولكنا سمعنا فى الأربعين سنة الأخيرة من شخص آخر — إسرائيلى كيوسف — كثير الكلام من التأويل والتفسير — هو سيجموند فرويد .

وخلافاً لما يرى رجل الأحلام القديم من أن فى الحلم نبوءة لإرادة الله ، يرى فرويد أن فى الحلم سجلاً للماضى ، وأن فيه دليلاً أو إشارة إلى رغبة الحالم أو إرادته .

وقد تجرمت عشرات القرون بين الرجلين ، وطال العهد بين الزمنين ، ولكن لا نزال فهمُنا لمعظم الظواهر الطبيعية العامة كما هو لم يتقدم إلا يسيراً ، وما أظنه سيتقدم ولو تقدمت بنا الأزمان .

وإنه لحقٌ أن كتب الأحلام ما زالت متداولة ، ولكن منزلتها لا تتجاوز منزلة قراءة البخت بواسطة « الكوتشينة » أو الفنجان ، أو قراءة الأخلاق بواسطة خطوط راحة اليد . فتفسير الأحلام قد انحط إلى درجة كبيرة .

وعندنا الآن نظريتان مشهورتان عن مسببات الأحلام : إحداهما عالجها هنرى برجسون ؛ والأخرى وهى التى سلفت الإشارة إليها عالجها فرويد . وكان للنظرية الأخيرة أهمية واعتبار أكثر مما كان للأولى ، ويرجع هذا فى الغالب ، إلى أنها تكوّن عنصراً هاماً فى نظام علاج يعرف بالتحليل النفسانى .

فبرجسون ، كفيلسوف ، يعالج الأحلام على أنها أحلام وحسب . وفرويد ، كعالم ، يهتم بها على أنها علامات أو دلائل للحالات العاطفية ، والشئون الحيوية .

ومن رأينا أن كلتا النظريتين ضرورية ، يجب الأخذ بها لتفهم أسباب جميع أحلامنا .

ولنأت هنا بعبارة مسهبة لبرجسون ، تلم بلباب النظرية ، وتجمع أشتات الموضوع . يشرح فيها استمرار حواسنا أثناء النوم فى استقبال التأثيرات والانفعالات ؛ فالعيون سريعة التأثر بدرجات الضوء ، والآذان تتأثر بالصوت ، والجسم فى مجموعه يتعرض للتأثيرات أو الانفعالات الخارجية . أما داخلياً فالأعضاء المختلفة أيضاً تسبب إحساسات للتسجيل ، إحساسات مزمجة ربما تكون من الأعضاء الهضمية ، أو من القلب ، أو الرئتين :

الذكريات المكبوتة :

« وقصارى القول ، أن فى النوم الطبيعى ، تكون حواسنا قطعاً قابلة لتأثيرات خارجية ... وبعيد على إحساس حقيق أننا

(*) جاء فى سفر التكوين من التوراة « فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد . قد أخبر الله فرعون بما هو صانع . البقرات السبع الحسنة هى سبع سنين . والسنابل السبع الحسنة هى سبع سنين . هو حلم واحد . والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التى طلعت وراءها هى سبع سنين . والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً هو الأمر الذى كلمت به فرعون . قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع . هوذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً فى كل أرض مصر . ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً . فينسى كل الشبع فى أرض مصر ويتلف الجوع الأرض »

نصنع حلمنا أو نلفقه ؟ إذن كيف نلفقه ؟ . .

« إن ذكرياتنا ، فى لحظة معينة ، تصوغ شكلاً هرمياً مجسماً تطابق قمته حاضرنا ... ولكن ، من وراء الذكريات التى تحشد فى شغلنا الحاضر ، وتظهر بوساطتها ، يوجد أخرى غيرها آلاف وآلاف غيرها ، تحت المنظر الذى قام الشعور بتدبيجه ووراءه ... وإنها لتتوق أحياناً إلى الضوء : ومع ذلك فإنها لا تحاول أن تنهض إليه ؛ لأنها تعرف أن هذا مستحيل ، وإننى أنا ، مخلوق حىّ ومتصرف ، عندى ثمة شىء آخر أقوم بعمله غير إشغال نفسى بها .

« غلبنى النعاس ، إذن تلك الذكريات المكبوتة ، التى تشعر بأنى تركت العائق جانباً ، ترفع المزلاج عن الباب السرّى الذى يبعد بينها وبين حقل الشعور ، وتبدأ فى التحرك والثورات ، ومن ثمّ تنهض وتنتشر إلى الخارج — لتؤدى فى ليل اللاشعور رقصة طيفية همجية . وتندفع إلى الباب الذى لا يزال (موارباً) وتتزاحم جميعها لاجتيازه . ولكنها لا تقدر ؛ فهناك كثير ، كثير جداً . من هذه كلها ، على أيها يقع الاختيار ؟ . .

« سهل علينا الحدس والتخمين . الآن فقط ، عند ما نستيقظ كانت الذكريات المحتملة هى التى استطاعت أن تطالب بوصل موقف الحاضر بإحساساتى المطابقة للواقع ... وهكذا إذن من بين الذكريات الطيفية ، ذكريات تتوق إلى وزن نفسها مع اللون ، والصوت . وبالاختصار مع المادية ، تلك الذكريات التى تعقبها هى التى يمكنها أن تماثل لون التراب الذى أحسه وأراه ، والضوضاء الخارجية أو الداخلية التى أسمعها ، وغيرها ... فعندما يحدث هذا الاتحاد بين الذاكرة والإحساس ، فإننى أحلم .

« الإحساس عنيف حار ، ملوّن ، فيه ذبذبة ، وهو فى الغالب حىّ ، ولكنه غامض ؛ والذاكرة واضحة وصافية ، ولكنها بدون مادة ولا حياة لها .

الإحساس يتوق إلى قالب يجمّد فيه ميوعته ؛ والذاكرة تتوق إلى مادة تملأها وتدكها — وبالاختصار لتستوعبها . فهما منجذبان كلٌّ إلى الآخر ؛ والذاكرة الطيفية ، يجعلها نفسها مادية فى الإحساس الذى يمدها باللحم والدم ، لتصبح مخلوقاً يعيش فى حياة من حيواتها ، حلم ...

« ميلاد الحلم إذن ليس سراً ... فما الفرق الجوهرى بين الكينونة فى حلم والكينونة فى يقظة ؟ نجمل الكلام فى ذلك بأن القوى العقلية ذاتها قد تمت ممارستها ، سواء كنا فى حالة اليقظة ، أو فى حالة الحلم ؛ ولكنها تتوفر فى الحالة الأولى ، وتسترخى فى الثانية . والحلم هو الحياة العقلية الصحيحة ، ناقصة جهد التركيز » .

هنا نرى أن نظرية برجسون الملخصة فى هذه الكلمات ، بسيطة غاية البساطة . عنصران يشتغلان لتلفيق حلم : إحساس ، ووضع صورة منسوج حولها بوساطة الذاكرة ، ضوء يومض من نافذتى بينا أكون نائماً ؛ فتنسج ذاكرتى حول هذا الإحساس بالضوء قصة معقولة ومقبولة . هذه القصة أو هذا التعليل هو حلمى

كثير من الأحلام المألوفة لدى معظمنا يمكن أن تفسر على ضوء هذه النظرية . قد نحلم بأننا مسافرون بقارب فى البحر ، وتحدث بعض طوارئ صغيرة لها صلة بالمغامرة ، ولكن العنصر السائد هو برودة الهواء . فنحن شاعرون ببرودة كما لو كنا مسافرين بالبحر . ونستيقظ فنجد أن غطاءنا منزلق عن السرير ، الأمر الذى نالنا منه برد شديد .

أو أننا قد نرى حلماً من تلك الأحلام التى نعيش فيها كما لو كنا فى نعيم ؛ كأن نكون مثلاً محلقين بلطف وبشكل توقيعى فى أجواء الفضاء الفسيح . وإنه لبسيط كما أنه ممتع ، فماذا علينا لو قلنا لأصدقائنا كيف يعملون مثلنا ؟ ولكن للأسف ، لقد فقدنا اللعبة حالما استيقظنا من النوم . والتفسير الصائب المعقول حسب نظرية برجسون ليس إلا نسمة فى الغرفة قريبة منا تداعب الفراش أو قميص نومنا ذاته . ولكن أرجلنا لم تستند على الأرض ، فنشعر فى غير وضوح بهذه الحقيقة . ولا يمكن أن نكون سائرين فتفعل ذاكرتنا الباقى ، إذ تؤلف القصة ، ونرى أنفسنا طائرين . والاعتقاد بأن ما نأكله يؤثر فى الغالب فى أحلامنا ولاسيما فى جعلها غير سارّة ، يتصل تقريباً بهذه النظرية . والإحساس فى هذه الحالات هو المضايقة التى يسببها عسر هضم ينشأ من أكلة ثقيلة .

ولنرجع الآن إلى الرجل الذى قلب نظام الاتجاه نحو الأحلام ؛ ليس هذا مجال الإشارة إليه إلا فيما يتعلق بما مضى ، والتأثير الهائل الذي له على الفكرة اليوم ؛ العبارات والتعبيرات التى أبدعها موجودة تقريباً فى كل ما يتصل بآداب العصر الحاضر ؛ والمواد التى كتبت مرة لتبرهن على أنه كان ذا تأثير فى الأدب غير مرغوب فيه ، مهنته العلاجية استعملت لكى تكون ضد اختيار طرائقه فى التدريب . ولكن تأثيره لا يزال مستمراً سواء كان

للخير أو للشر .

كثيراً ما نظن عن الحلم أنه مشوش ومقلق لنومنا ، ولكنه بالنسبة لنظرية فرويد يُعد بمثابة حارس . فالحلم بقي النائم من الاستيقاظ ، سواء بواسطة منبهات خارجية لحواسه ، أو بواسطة منبهات داخلية تهيئها انفعالات ، أو أفكار غير سارة . ومثل الحلم كمثل أم تقول لطفلها الذي تمرف أن أصواتاً أو مشاهد غير عادية تخيفه « لا تخف ، إنه لم يكن إلا الهواء يداعب الأغصان »

كل حلم يعبر عن رغبة :

لكي نفهم هذه النظرية على حقيقتها يلزمنا أن نضع نصب أعيننا بضع قواعد ثابتة : كل حلم يعبر عن رغبة ، والحلم الرمزي هو إشباع مستتر لرغبة مكبوتة . وفي الأحلام ننال ما نصبو إليه نفوسنا أخيراً ، ولكن — « ليس هناك حلم واحد لا يمكن أن يظهر بواسطة التحليل ليعتدي على بعض قوانين أخلاقية أو شرعية » وإن التثبت والإصرار على هذين المبدأين هو الذي يسبب — في الغالب — ذلك السخط على فرويد . ولا نرى في الحقيقة سبباً للانزعاج أو الشك في هذه البيانات .

ومن المحقق أن أي شخص متأمل ، أمين في تأمله ، سيعترف بأنه غالباً ما يتمنى امتلاك ما ليس في حوزته ، ويرغب في حوادث وعواطف يعرف أنها مطابقة لسبل حياة الزمن الحاضر ولا يمكنه امتلاكها . وما نسميه رغباتنا الشرعية أو القانونية لا نكبتها بل نعبر عنها ونصرح بها ، ونحاول أن نحصل عليها أو على الأقل نسمح لها ببعض الاشتراك في حيواتنا . وإن مجرد الرغبات في الأشياء الممنوعة هي التي نخرجها من عقولنا ، ظناً منا أننا بعملنا هذا قد محوناها وحطمناها . ولكن هذا يبدو صريحاً ومبهماً . وإنها لتبدو أقوى بنوع ما مع القوى الخبيثة المكتئبة . وستجد طريقها إن لم يكن في حياة يقظتنا إذن ففي نومنا .

نحتاج فضلاً عن ذلك إلى أن نفهم أن هناك محتويين لكل حلم ، كما كانت آراء المفسرين مثل يوسف . فهناك المحتوى الحرفي أو الظاهر ، إذ تحلم بحصان شرس . والمحتوى المجازي أو الكامن في مثل هذا الحلم ، هو التعبير عن رغبة جنسية غير قانعة طبقاً لتفسير فرويد .

والمعنى الكامن كثيراً ما يبدو للحالم محرفاً ، أو متنكراً لكي يستطيع المرور من « الرقيب » الذي يدل عليه اسمه ، والذي يحاول في النوم دائماً أن يُخفي العناصر غير المناسبة عن عقولنا . هنا يأخذ فرويد على نفسه مسئولية ما ذكرناه آنفاً بأن جميع رغباتنا المكبوتة مخجلة وفاضحة لنا كمتمدينين ، فهي في النوم لا يمكن أن تظهر بدون تحريف . فيلزمها إذن أن تتقنع

تأويل بسيط :

هنا الكثير مما يشمئز منه الشخص المحافظ على التقاليد ، ويحجم عن قبوله ، ولكن حينما يبدأ التأويل يكون هناك الرفض المنيف ، أو الإستخفاف ، أو السخرية من قبل الكثير ، لماذا تكون الحية والشمسية وسيقان الورد المستقيمة وغيرها من الأشياء البريئة لماذا تكون في الأحلام رموزاً للأعضاء المستترة من جسم الإنسان ؟ ولماذا يكون الحلم الذي فيه خيل ، على وجه التخصيص ، وأحياناً أنواع أخرى من الحيوان ، أو الحلم بصعود سلالم ، أو السير فوق ممر من تحته ثغرة واسعة ، لماذا تكون هذه الأحلام « القلقة » رموزاً لرغبة جنسية لم تشبع ؟ .

يجب أن يُفهم تماماً أن هذه الرموز لم يخترعها فرويد ، ولم يذكرها بطريقة اعتباطية ، ولكنها اكتشفت فقط . ومنبعها في لا شعور الفرد أو الذرية . ولقد حلل فرويد وأتباعه آلافاً وآلافاً من الأحلام .

وفيما يلي نقتبس عبارة لبريل Brill أتى فيها بحلم وتعليله ، أو بالأحرى ، بمعنييه الظاهر والباطن .

« حلمت إحدى مريضاتي أنها رأت ولدها الأكبر مكفناً في تابوت ، وكانت مع ذلك غير مكترثة به قط . ولما قيل لها إن الحلم يقوم مقام إشباع الرغبة أصرت على أن هذه النظرية خاطئة ، إذ أنها لا تضمر أي رغبة كهذه بخصوص ابنها . ومع ذلك فقد أظهر التحليل النفساني الحقائق التالية :

مات زوجها تاركاً لها طفلين ؛ ثم تزوجت من أرمل له هو أيضاً طفلان . وكان الزوجان سعيدين ، ولكن نظراً لأن لهما أربعة أطفال فإنهما لا يستطيعان القيام بتربية من يأتي بعدهم . وكثيراً ما أعربت الزوجة عن رغبتها الأكيدة في الحمل من زوجها الثاني لكي تقوى الرابطة بينهما ، ولكن وجود أربعة أطفال في الأسرة يعوق هذه الرغبة . فالحلم يشبع رغبتها بأن يريها أن في الأسرة ثلاثة أطفال وحسب »

عبد العزيز جادو

القـــــول للسيف

للاســـــتاذ حسنى كنعان

يتساءل عشاق الأدب من قراء « الرسالة » المجاهدة فى وسط هذه الغمرة العاتية التى تغمر سماء فلسطين الدامية أين هو الأستاذ الطنطاوى وأين قلمه العذب ومقالاته النارية وقوله الفصل ؟ لماذا توارى عن المسرح ولم نعد نرى له أثراً فى أزالة الغمة وتفريج الكرب بما كان يكتبه عن البلاد العربية كلما حزب الأمر وبلغ السيل الزبى والحزام الطبيين ، فكأن السائلين حفظهم الله وأنسأ فى آجالهم يظنون أن القضية قضية أشعار تقرض ومقالات تنشر وأقوال تقال وقرارات تقرر واجتماعات تعقد ورحالات من الساسة اليعربيين تطير متنقلة بين العواصم العربية للمشاورة والمداولة ، وقد غرب عن بال السائلين أن العالم العربى بأسره جماعاته وأفراده قد سئم هـذا النوع من الجهاد وبات يرقب الأعمال الحاسمة ، أجل لقد برم الناس من سياسة الأقوال وباتوا يرقبون الأعمال الجدية فالقضية اليوم قضية دولارات تنثر ، وطائرات ترجم ، وزحافات تقذف وقنابل تفتك ومتفجرات تبيد وتهدم ، لقد ظن العرب وإن بعض الظن اثم ، أن هؤلاء الواغلين فى أقدس بقعة من بقاع الأرض العربية ، هم من أنسال أولئك اليهود الذين عهدناهم يجوبون الحارات والأحياء ويذرعون الشوارع سحابة يومهم لا يني الواحد منهم عن الصياح بملء فيه : (طراييش عتق للبيع ، أحذية عتق للبيع) ليتبلغوا بهذه التجارة المحطة بلغ العيش ، فتلحقهم صبيه الحارات والأحياء ترجمهم بقشور البطيخ والليمون والبرتقال إستخفافاً بأمرهم واستهانة بهم ...

كلا ياساده ! فنحن أمام عصابة من الأوروبيين المدربين على للقتال والإجرام والفتك نساء ورجالا أطفالا وكهولا . قاءتهم أوروبا وبعثت بهم الدول الاستعمارية لتعيث فى أرضنا فساداً . قوم خلق منهم الاضطهاد الهتلرى أمة ناقمة على البشرية متمردة متعطشة للدماء والفتك والدمار . لا ترعى عهـدا ولا ذمة . غشيت سماء الوطن القدس من هـذه الطغمة سحابة دكناء أثاروها على العزل الآمنين الوادعين فى فلسطين موجة إرهابية جنونية لا هوادة فيها ولا رحمة . بقروا بطون الحبالى وذبحوا الأطفال وقضوا على الأجنة ومثلوا بالكهول والعاجزين . ولقد ركبوا فى حوادث حيفا وطبرية ويافا وغيرها من المدن والقرى التى أوغلوا فيها رؤوسهم وجن جنونهم فتفننوا فى الذبح والتقتيل والتشريد والتبعيد والنهب والسلب ، وحمتهم فى إجرامهم وعضدتهم سيدة البحار صديقة العرب التقليدية ! أجل مهدت لهم هذه الدولة الأفعوانة الرقطاء طريق الغزو ومنعت العرب من الدفاع عن أنفسهم وحالت دون الوصول إليهم ... إن العين لتدمع والفؤاد ليبكى دماً على ما ألم بأهل فلسطين من مصائب وإحن ، كوارث أحدقت بهم تتضاءل أمامها كارثة الأندلس . خرجوا من ديارهم مروعين مذعورين لا يلوون على شىء ، فلا الأب يعرف أين بنوه ، ولا الإبن يعرف مصير أبويه . تركوا فى المدن المجتاحة أموالهم وأملاكهم وخرجوا على الشاطئ ناجين بأنفسهم . ولقد نيف عدد النازحين على المئين من الآلاف . وصلت طلائعهم من الكتل البشرية إلى دمشق وهم على آخر رمق يجودون بدمائهم ، تتراءى لك المسغبة والمتربة والذلة والمهانة فى تقاسيم وجوههم التى تحمل الأنوف الشماء والحمية والعزة والكرامة ، قوم شردهم البغى والظلم (الانكلو صهيونى) والغدر والمؤامرات الدنيئة تحاك بهم المصيبة التى تركت الرءوس بيضاً ، وبيض الوجوه سوداً ، لا تنفع معها شكوى ولا يجدى أنين . كل هذا وقع على مرأى ومسمع من الدول العربية التى يتشدق زعماؤها ورؤساؤها بالسلام والوئام . والدول العربية مافتىء رجالاتها عاكفين على القرارات والمداولات والمشاورات ولا نقول إنهم قد أخذوا غدراً ووقع الذى وقع وهم فى غفلة عنه ، فلقد كان هذا الأمر متوقعاً حدوثه منذ عهد بلفور المشئوم فما أعدوا له عدة ، وما أقاموا له وزناً . وها هم اليوم يتحينون فرصة زوال الدولة الطاغية عن الأرض المقدسة وزوال نفوذها وسلطانها ليقفوا فى اليوم الموعود أمام شذاذ الآفاق يناقشونهم الحساب ، ويثأرون لبنى سحنتهم ونحلتهم منهم ، وتلك الدولة تخادع وتماطل وتطاول فى الجلاء وتلف وتدور ، كيما تظل مسيطرة وباسطة سلطانها لتتم الوعد الذى قطعته على نفسها لإقامة الدولة الصهيونية . أفبعد الذى حصل نطلب من الأستاذ الطنطاوى والسرطاوى أن يخوضا غمار معركة قلمية فى هذا السبيل والحكم فيه للسيف كما ترى ؟ فأين هى السيوف العربية ؟ وأين هم الضاربون بها ؟ وأين القوى والعتاد ؟ نسأل الله السلامة والعافية للقطر

ماذا تعرف عن السودان؟

للأستاذ إيليا حليم حنا

قطر جميل بطبيعته الفطرية، غنى بموارده الكثيرة التي لم تستغل. مساحته أكثر من ثلاثة أضعاف القطر المصرى ويبلغ سكانه نحو ثمانية ملايين نسمة.

سكان النصف الشمالى منه عرب مسلمون شديدو الاعتزاز بأصولهم، حتى أنك عند ما تسأل أحدهم عن جنسيته لا ينسب نفسه إلى القطر كله بل إلى قبيلته.

أما سكان الجنوب فهم زنوج، لهم رطانات عديدة ومعظمهم وثنيون عراة الأجسام.

ولا تختلف مظاهر الحياة فى السودان كثيراً عنها فى صعيد مصر بل تتفق فى كثير من التقاليد واللهجة مع الفارق فى الملبس الذى يتكون من عمامة بيضاء وجلباب أبيض.

أما الموظفون فيلبسون الملابس الأفرنجية والقبعة ويسمح لهم بلبس الجلاليب والعمائم البيضاء فى مكاتب الحكومة.

والنساء فى المدن محجبات يخرجن مؤتزرات بملاءات خفيفة بيضاء اللون غالباً، ولا يظهر هذا الرداء من أجسامهن شيئاً غير أعينهن. وزيارتهن لبعضهن تكون بعد غروب الشمس عادة.

والمرأة السودانية على جهلها تلمح فيها ذكاء فطريا وروحاً خفيفا؛ وهى تقدس الشجاعة فى الرجل، فإن جبن مرة فمعنى هذا عندها أنه تجرد من رجولته وهو فى هذه الحالة يفضل الموت على وصمة العار هذه.

والسودانى شجاع لا يعبأ كثيراً بالآلام بل يستسيغها فى سبيل الاعتزاز بالنفس والكرامة؛ وهو كريم إلى حد كبير، مضياف يصل كرمه إلى حد الاسراف، كما أنه ديمقراطى بطبعه يخالط ويجالس من هو أقل منه فى الجاه والمركز الاجتماعى. فالعظيم والحقير كلاهما لا يرى للفوارق وجوداً. والسودانيون لا يعبأون بالألقاب؛ ويلذ لهم أن ينادى بعضهم بعضا بالاسم المجرد. والشخص العادى إذا تحدث عن كبير فى المركز الاجتماعى يقول (فلانا) بدون لقب، ولكنه لا يجرد من لقبه فى سياق الحديث رجل الدين أو الرجل المسن.

والسودانيون يبذلون كل ما فى طاقتهم لتعليم الأبناء حتى أن هذه الرغبة القوية جعلت المدارس الموجودة اليوم لا تكفى حاجة الجميع. وهم لا يرون أى غضاضة فى أن يبعثوا ببناتهم إلى المدارس الأولية؛ ولكن فئة قليلة جداً ترسلهن إلى المدارس الوسطى؛ لأن الفتاة عندما تصل إلى هذه المرحلة من التعليم تكون غالباً فى طور المراهقة.

والحكومة مهتمة بالتعليم الأولى أكثر من اهتمامها بالتعليمين المتوسط والثانوى. وعدد المدارس الوسطى (الابتدائية) الحكومية والأهلية فى السودان كله ٢٣ مدرسة للبنين، ومدرستان ثانويتان حكوميتان، وواحدة أهلية. ما عدا المدارس المصرية والتابعة للجاليات المختلفة.

والشاب السودانى الآن يقبل على التعليم برغبة صادقة، ويرى أنه الوسيلة الوحيدة التى توصله إلى الرقى المنشود وتحقيق الأمانى القومية.

والأمن مستتب فى السودان على رغم قلة رجال الحفظ؛ وهذا يرجع إلى أن السودانى ليس شريراً بطبيعته. ويدهشك أن ترى المساجين يسيرون ووراءهم رجل البوليس وهم غير مقيدين بأغلال. وبعضهم يشتغل بخدمة الموظفين الحكوميين بأثمنونهم على متاعهم وأرواحهم. والغريب أنهم لا يفكرون فى الهرب وهم مطلقو السراح ...

والحياة الاجتماعية تختلف باختلاف المدن، فالمدنية تكاد تكون غربية فى العواصم مثل الخرطوم، وشرقية فى المدن التى

الشفيق وأزالة المحنة والنقمة عنه، كما أننا نسأله ونتوسل إليه أن تنقلب أسنة هذه الأقلام المرهفة فى أيدى أصحابها إلى دبابات، وطيارات ومدافع، وقنابل ومتفجرات تأتى على جذور الصهاينة من أساسها؛ عندئذ نرى أستاذنا الزيات وصديقنا الطنطاوى وطه والعقاد والمازنى وأحمد أمين وغيرهم من كبار كتابنا فى طليعة القادة اليعربيين الذين يرفعون رايات العروبة رفافة خفاقة على المجاهدين الأعالب، ويعيدون أمجاد العرب.

(دمشق) حسنى كنعان

أكثر سكانها من الوطنيين مثل أم درمان أما أهل الجنوب الزنوج فتكاد تكون معيشتهم فطرية .

أما المعيشة فاللحوم والطيور والأسماك رخيصة جداً . ويبلغ ثمن أقة اللحم الضأن عشرة قروش . ويوجد من الخضر مايوجد فى مصر، ولكن أسعارها هى والفاكهة أكثر ارتفاعاً . وهنا أزمة مساكن أشد مما هى فى مصر والايجارات أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب .

أما جو السودان فإنه جميل جداً فى مدى ثمانية شهور ، فمن نوفبر إلى منتصف ابريل جفاف واعتدال ، وهذا هو وقت الشتاء . ويبدأ الحر من أواخر إبريل إلى أواخر يونيو، ولكن عندما ترتفع درجة الحرارة تسقط الأمطار فتلطف الجو . أما يوليو وأغسطس فإنهما أجمل الشهور فى السودان : جوممطر منعش وطبيعة ساحرة فاتنة . ولا أغالى إن قلت إن الجو خلال هذين الشهرين لا يقل عن جو الأسكندرية صيفاً ، ويمتاز عليه بالأمطار اللاطفة . وتنقطع الأمطار فى سبتمبر . وقد يسقط فيه مطرخفيف يسميه الأهالى (الرشاش) أو مطر (البُخّات) أى السمداء لأنه قد ينزل فى مزرعة ولا ينزل فى نفس الوقت فى المزرعة التى تجاورها تماماً . وخلال سبتمبر حتى معظم أكتوبر يكون الجو مشبعاً بالرطوبة اللطيفة ، وتكثر فى الهواء الحشرات المختلفة الألوان والأشكال. وهى غير ضارة ...

والطبيعة فى السودان فاتنة جذابة ؛ فهناك أرض الجزيرة بأقطانها ومحصولاتها المختلفة ، وفى كروفان تتجلى البداوة بإبلها التى تسير على الكثبان الرملية الصفراء والأبقار والأغنام والماعز فى مراعيها الجميلة التى تنبتها الأمطار؛ والجنوب بمياهه التى تنساب فى الوديان صافية تنبت الخيرات وتجعل الأرض جنة بما فيها من الثمار المنوعة المتوافرة وغيرها من خيرات الله الوفيرة التى لو استغلت لجعلت السودان من أغنى الأقطار .

هذه لمحة خاطفة عن السودان غرضى منها أن يتعرف أبناء وطنى حقيقة هذا الشطر الجنوبى من وادى النيل الذى يجهل عنه المصريون الشيء الكثير .

الأبيض — السودان

إيليا حليم حنا
دبلوم عال فى التربية
دبلوم صحافة

البــــــدر

للأستاذ عثمان حلمى

قل لى إذا اسطعت أيها البدر ... هـل لك سر وما هو السر
ظللت من أول الزمان على ... صمتك لم يفش سرك الدهر
مستبشر الوجه فى العيون إذا ... رنت وفيهـا الرجاء والبشر
أو عابساً فى عيون من عبسوا ... أو ســاخراً عم نورك السخر
كنت مع الأولين فى زمن ... ولى وولوا فمــالهم ذكر
وأنت فى الآخرين ترمقهم ... بمقلة مـلء لحظها حِــذْر
باق على الدهر ما اسميك من ... نهـاية فى السرى ولا عصر
وعمرك الدهر فى الوجود ولو ... أن المدى فى حســابنا شهر
تمـــر فى رجمة فمــا لهمُ ... مروا ولم يرجع الأُلى مروا
أبليت فى الأرض من مررت بهم ... ولم تزل أنت أنت يــا بدر
كم عاشق سره ضياؤك إن ... أساءه من حبيبه هجر
ناجيته فى ظــلام وحشته ... نجوى ضريب أضره الفِكر
وشاعر هام من ضيائك فى ... خياله واســتخفه الشعر
سمعت فى البعد همس مهجته ... بــكل ما قد أجنّه الصدر
وكاد من فرحة ومن طرب ... يجن سكراً وما به ســكر
أشمت من نشوة السرور به ... بالنور ما لا تشيمه الخمــر
فى مقلتيك اللتين أبصرتا ... كل تليد وطارف خـــبر
عند ابتســامى أرى ابتسامهما ... وشع فى الذعر منهما الذعر
قل لىَ كم شامخ مررت به ... أصابه بعد رفعــة حَذْر
هوى وران الثرى عليه ولم ... يبق لَمعمــرى لأمره أمر
سيان فى الأرض روضة أُنف ... لديك إما مررت أو قــبر
ألم ترعـــك القبور صامتة ... وقد غـدت ما لعدها حصر
وأنت فى وحشة تمـــر على ... رُقودها والرقود لم يدروا
ما بالهم طال ليلهم وأبى ... من طوله أن يعوده فجر
وما لهم قد رضوا برقدتهم ... وهـل لهم فى رضائهم عذر
يا هـول سر ظللت تكتمه ... عنـا ولم يفش سرك الدهر

عثمان حلمي

الأدب والفن في أسبوع

« اليونسكو » :

يزور مصر الآن الدكتور جوليان هكسلي المدير العام للمؤسسة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (المعروفة باليونسكو) وقد حضر إلى مصر بعد زيارة طويلة لسائر البلاد العربية وتركيا وإيران ، حيث اجتمع بهيئاتها الثقافية والتعليمية تمهيداً للمؤتمر القادم لهذه المؤسسة الذي سيعقد بلبنان في أواخر هذا الصيف .

وقد ألقى الدكتور هكسلي محاضرة عن (اليونسكو) وأغراضها في الجمعية الجغرافية يوم الأحد الماضي ، فبين كيف نشأت فكرتها والمراحل التي مرت بها إلى الآن ، قال إن فكرة المؤسسة نبتت في لندن خلال الحرب ، إذ رأى جماعة من رجال التعليم والثقافة من مختلف الأمم أن يقوموا بجهود فكرى لتحقيق السلام العالمي ، ورأوا أن السبيل إلى ذلك هو العمل على تآلف الثقافات لإزالة الريبة بين الشعوب ، لأن أسباب الحرب تنشأ في الذهن فلا بد من التقريب بين الأذهان والعقول ليتحقق حسن التفاهم والإخاء . ولما انعقد مؤتمر سان فرنسيسكو في سنة ١٩٤٥ وتباحث بعض أعضائه في شئون التعليم - نص في ميثاقه على إنشاء مؤسسات للعناية بمشاكل التربية ، تكون مستقلة مع بعض الاتصال بهيئة الأمم المتحدة .

وقد انعقد مؤتمر الهيئة العام لأول مرة بباريس في العام الماضي ، فقرر السعي لإصلاح بعض نظم التربية في بعض الدول ، قصد الوصول إلى التعاون الفكرى الصحيح ، وكان من قراراته :

١ - تنظيم حملة عالمية للقضاء على الأمية بتحديد المستوى الأدنى للتعليم في جميع الأمم .

٢ - تنظيم بحوث عالمية للكشف عن الدوافع النفسية والاجتماعية التي دفعت العالم إلى التطاحن في الحرب العالمية .

٣ - العمل على إزالة الحواجز المانعة من التعاون الفكرى بين الأمم المتنافسة .

الدكتور هكسلي :

والدكتور هكسلي مدير « اليونسكو » في الستين من عمره ، وهو كاتب وشاعر وعالم بيولوجي ، له مؤلفات في العلوم والآداب والاجتماع ، منها كتاب « نحن الأوربيين » الذي فند فيه نظريات النازى العنصرية تفنيداً يقوم على أسس علمية صحيحة ، وله دراسات قيمة في مشروعات الإصلاح الاجتماعية . ومن آرائه في المشكلات العالمية أن الانتصار في الحرب لا يؤدى حتما إلى إنقاذ المدنية من الخطر الذي يهددها ، وإنما الذي يكفل إنقاذها هو مقدرتها على إزالة أسباب الخوف والظلم واليأس ، وهي تستطيع تحقيق هذه الغاية إذا وضعت نصب أعينها أن المجتمع البشرى يتألف من كل لا يتجزأ تتوازن فيه الحقوق والواجبات وأن القيم الاقتصادية في هذا المجتمع يجب أن تخضع للاعتبارات الاجتماعية .

مصر و « اليونسكو » :

وقد انضمت مصر إلى المؤسسة منذ نشأتها ، فقد اشترك الدكتور محمد عوض محمد بك في اجتماعاتها الأولى بباريس ، وكان له جهود كبيرة في وضع منهج العمل للجنة العلوم الاجتماعية إحدى لجان المؤسسة . ويمثل مصر الآن في اللجنة التمثيلية ، الأستاذ شفيق غربال بك ، وقد أشرنا قبل الآن إلى مساعيه التي كللت بالنجاح في اعتبار اللغة العربية من لغات المؤسسة الرسمية . ولمصر في باريس مكتب أنشأته وزارة المعارف المصرية ليكون على اتصال دائم بسكرتارية « اليونسكو » فيبلغ الوزارة مشروعات الهيئة وبرامجها وما ترغب إطلاع الحكومة المصرية عليه من مقترحاتها وقراراتها ، ويبلغ الهيئة ما تريد الحكومة المصرية إبلاغها إياه من مثل هذه المقترحات والقرارات .

للتعريف العالمي :

وقد رغب الدكتور هكسلي إلى معالي وزير المعارف ، أن يزوده بأسماء الهيئات الثقافية والفنية والعلمية المصرية ، حكومية وغير حكومية ، وأسماء الشخصيات الهامة من علماء وأدباء وكتاب وفنانين ، ممن يجب أن يعرفهم العالم .

وتعمل الآن في إعداد ذلك إدارة التسجيل الثقافي التابعة للادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف .

الدكتور طه حسين :

كانت هيئة « اليونسكو » أرسلت إلى الدكتور طه حسين بك تدعوه إلى اجتماع لجنة ترجمة الآثار الأدبية العالمية الذي سيعقد في باريس ابتداء من ١٨ مايو الحالي . وقد سافر الدكتور طه يوم الخميس الماضي إلى فرنسا لهذا الغرض .

مجلة الكاتب المصري :

وقد أعلن الدكتور طه في الأهرام قبل سفره ، باعتباره رئيس تحرير مجلة « الكاتب المصري » — أن إدارة المجلة قررت وقف إصدارها « لأسباب لا تتصل بمحرريها ولا بقرائها » .

وقد علمت أن دار الكاتب المصري ستتوقف أيضاً عن أعمال النشر التي تقوم بها إلى جانب إصدار المجلة ، بعد أن تفرغ تماماً بصدده . وواضح من عبارة الدكتور طه « لأسباب لا تتصل بمحرريها ولا بقرائها » أن احتجاب المجلة قد يرجع إلى الناحية المادية.

ومن الإنصاف أن أقول أن إنتاج دار الكاتب المصري ومجلتها ، لم يكن يختلف — من حيث اللون العام — عن إنتاج المجلات الأدبية ودور النشر الأخرى .

وقد أشار الدكتور طه في بيانه الوجيز إلى الملتقى بينه وبين القراء في ميدان آخر ، ويقال إنه سينضم إلى مجلة أدبية شهرية أخرى ، وقد يتولى رياسة تحريرها .

طريقة جديدة :

أعادت إحدى هيئات النشر والتوزيع ، طبع كتاب « صندوق الدنيا » للأستاذ المازني ، وظهرت في الصحف إعلانات عنه منوعة مختلفة الصيغ والأشكال ، وجاء في أحدها للتمثيل على محتويات الكتاب :

« الجدة التي لبست مريلة وذهبت إلى المدرسة » .

« حلاق القرية يحلق على الأرض للأستاذ المازني » .

« أبو الخوارق وابن الزوابع يتضاربان على العمم » .

« الشيخ الذي (زغزغه) المازني ففقد وقاره » .

وهذه الطريقة في الإعلان مجدية فعلا في التشويق إلى الكتاب ؛ ولإقبال الناس على مؤلف للأستاذ المازني أثره في التثقيف والانتفاع من القراءة الأدبية . ولكن متتبعا — مثلي — لشؤون الأدب والثقافة ، لا يصح أن يغفل تسجيل أمر جديد كهذا ... فقد كان مثل هذه الطريقة يتبع من قبل في مؤلفات ينادي عليها الباعة بمثل « المرأة التي أكلت ذراع زوجها ! » دون أن يثبت مؤلفوها أسماءهم عليها .

أما الجديد فهو الإعلان بمثل ذلك عن مؤلفات أدبية معروفة لأدباء معروفين كالمازني . ولست أعترض ، ولكني — كما قلت — أسجل ...

من طرف المجالس :

غشيت مجلس ثلة من الأدباء ، فلاحظت أنهم إذا قدم عليهم قادم جديد ، عرفه أحدهم باسمه ، ثم يقول لأصحابه في شبه همس: أبو نواس ! أو يقول : ابن الرومي !

ثم علمت أنهم اصطلحوا على ذلك ، فإذا كان القادم من غير أهل الخير وليس من ذوي الوفاء فهو ممن يصفهم أبو نواس بقوله :

وقح ، تواصوا بترك البر بينهم ... تقول: ذا شرهم، بل ذاك، بل هذا

وإن كان وفيا لإخوانه ، فهو من أصحاب ابن الرومي القائل :

وخليّ مما بي ثلاثة إخوة ... جسومهم شتى وأرواحهم معا
موافين أهواء توافت على هوى ... فلو أرسلت كالنبل لم تعد موقعا
إذا ما دعا منا خليل خليله ... بأفديك لبانا مجيباً فأسمعا

من طرف الإذاعة :

لست أدري لم عادت الإذاعة إلى ما كانت قد تركته من تقديم بعض الشعراء « المحبوبين لديها » ليقرأوا من أشعارهم ! فقد سمعت أخيراً أحد هؤلاء يذيع قطعا قديمة مختلفة من شعره ، ينتهي من قطعة ، فيذكر عنوان أخرى ويلقيها ، وهكذا ... فذكرني هذا الصنيع بما يفعله « شكوكو » حين ينتقل من « سلم لترماي » إلى « اللباريق » و « حسن أبو علي سرق المعزة » !!

وسمعت في حوار بأحد « البرامج الخاصة » من يقول : نحن يا سيدي قوم بدائيون ! وهذا البرنامج أخرجه فلان الفلاني ووضعه فلان آخر ، وبطبيعة الحال راجعه مراجع وأقره ؛ فلم يتنبه أحد من هؤلاء إلى أن الذي يفهم أن هناك بدائيين وغير بدائيين — لا يصح أن يكون بدائيا !

أدب المناسبات :

كتب الأستاذ محمود تيمور بك كلمة فى « الزمان » بعنوان « أدب المناسبات » قال فيها : « جرت أقلام طائفة من الكتاب على الغض من شأن القطع الفنية ، بحجة أنها وليدة مناسبات كانت راهنة ، وأكثر ما اتجهت إليه سهام هذا النقد شعر المراثى والمدائح ونحوها » .

وناقش الأستاذ تيمور هذه القضية إلى أن قال : « والمقياس الصحيح للفصل فى تلك القضية الأدبية أن الفنان بين حالتين :

« حالة قدرة على استيحاء الموضوع أيا كان ، واستجابة حقة للاستنامة الذاتية التى يحيا بها الموضوع فى قرارة النفس . وفى هذه الحالة من القدرة والاستجابة ينجلى التعبير وتتبين مرتبته : غثا كان أم سمينا .

« وأما الحالة الأخرى فهى حالة الحمل على النفس ، وتكليفها أن تستشعر ما لا تحس ، دون أن تكون منها استجابة ، ودون أن تأذن للموضوع بأن يحيا بين حناياها حياة حقة . وفى هذه الحالة الأخرى يخرج التعبير سقطا لا روح فيه ، وبخا لا مذاق له ، يبدو عليه أثر التصنع والكذب » .

الفن المعاصر :

أقام جماعة من الشبان الفنانين المصريين ، معرضا لأعمالهم فى التصوير والنحت بدار إدارة خدمة الشباب تحت رعاية معالى وزير المعارف ، وقد افتتحه معاليه فى الأسبوع الماضى ، ويشرف على المعرض الأستاذ حسين يوسف أمين وهؤلاء الشبان (جماعة الفن المعاصر) هم : ابراهيم مسعودة ، وكمال يوسف ، وسمير رافع وعبد الهادى الجزار ، ومحمود خليل ، وسالم عبد الله الحبشى ، وماهر رائف ، وحامد ندا ، وهم جميعا يتجهون بفن التصوير اتجاها جديدا يساير التطور الفكرى وينتفع بالثقافات الحديثة ، فلم يعد الفن المعاصر يتمشى مع مجرد تسجيل الناظر للهو والرفاهية وإنما هو يقوم على غزو الطبيعة وسيطرة العلم والوعى بالأوضاع الاجتماعية وبمدى ارتباط الفن بالحياة .

وهؤلاء الفنانون ، وإن جمعتهم مدرسة فنية واحدة ، يسلك كل منهم فى إنتاجه مسلكا يلائم شخصيته . وأروع ما فى هذه المعرض أنك تلاحظ ذاتية الفنان فى لوحته ، ويبدو لك فى كثير من هذه اللوحات عمق فلسفى ونظرات فنية موضوعية ، وإن كان بعضها غير مفهوم ... لى على الأقل .

المجمع العلمى العراقى :

أنشىء بالعراق فى أوائل هذا العام مجمع جديد هو « المجمع العلمى العراقى » وقد اختير لرياسته الأستاذ محمد رضا الشبيبى . وأعراض هذا المجمع هى :

١ — العناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشئون الحياة الحاضرة .

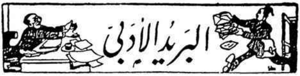
٢ — البحث والتأليف فى آداب اللغة العربية وتاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضاراتهم .

٣ — دراسة علاقة الشعوب الإسلامية بنشر الثقافة العربية

٤ — حفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة وإحياؤها

٥ — البحث فى العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف وبث الروح العلمى فى البلاد .

العباس



كلمة أخيرة في تعدد الزوجات :

لا أدرى فيم يخالفنى صديق الأستاذ زكى الدين بدوى ، وقد وافقنى على أن لولى الأمر أن يمنع من تعدد الزوجات بمنع سماع الدعوى فى أكثر من زوجة واحدة ، فليس بعد هذا إلا ما يراه من أن هذا طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة ، ولو صح هذا لما كان هناك معنى لثورة كثير من العلماء كلما شرع ولى الأمر فى منع سماع الدعوى فى مثل ذلك . والحقيقة أن منع سماع الدعوى فى مثل ذلك يراد به منع الناس منه ، وبهذا يرى بعض العلماء أن ما أباحه الله للناس لا يصح منعهم منه ولو بالمنع من سماع الدعوى فيه ، ولا يصح لولى الأمر أن يتبرم به أو يحاول الحجر فيه على الناس بأية وسيلة ، وهذا إلى أن القاضى كان يباح له شرعاً سماع الدعوى فى مثل ذلك ، بل كان يجب عليه أن يسمعها ويحكم فيها بحكم الله تعالى ، لأن القاضى يجب عليه شرعاً سماع الدعوى من صاحبها ، ويجب عليه شرعاً أن يحكم فيها بما أنزل الله فى أمرها ، فإذا منعه ولى الأمر من سماعها كان فى ذلك تحريم لما أباحه الله له ، بل لما أوجبه عليه ، فيثور كثير من العلماء لذلك أيضاً ، ويرون فيه خروجاً على الدين ، وانتهاكا لحرمة الشرع ، فكيف بعد هذا كله يرى الأستاذ زكى الدين بدوى أن المنع من سماع الدعوى طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة .

وقد وافقنى الأستاذ زكى الدين بدوى أيضاً على أن هناك من يقول بحق ولى الأمر فى النهى عن المباح ، ولكنه ذكر أنه لم يرد عنهم أن هذا يجرى فيما وردت بحله نصوص تفصيلية محكمة فى الكتاب والسنة كما هو الحال فى تعدد الزوجات. ولا شك أنه لا فرق بين مباح ومباح فى ذلك النهى ، ونحن إنما نرى النهى عن المباح عند الحاجة إليه ، وعند إساءة المسلمين استعماله ، وإذا كان فى ذلك خلاف بين العلماء فمن الواجب على الأستاذ المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد أن يكون مع من يعطى ولى الأمر هذا الحق ، لما فيه من المرونة فى التشريع ، وعدم الوقوف فى المباح عند حالة واحدة ، ولو تغيرت الظروف والأحوال وصارت الإباحة فيها مصدر بلوى للمسلمين ، وهو بهذا أجدر من الأستاذ الذى تخرج بين جدران الأزهر فقط ، ولم يشاهد جامعات باريس وفؤاد .

لقد كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة أبى بكر ، وفى صدر خلافة عمر ، ولكن الناس خالفوا ذلك فأوقعوه ثلاثاً ، فأمضاه عمر عليهم عقوبة لهم ، وأخذ الأئمة الأربعة بحكم عمر فى ذلك ، فحرموا على الناس الرجعة بعد الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وقد كانت مباحة لهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة أبى بكر وفى صدر خلافة عمر . فليدع الأستاذ زكى الدين بدوى القافلة تسير ؛ لأنه لا يصح من مثله أن يضع فى طريقها العقبات .

عبد المتعال الصعيدى

إلى علماء الدين وأساتذة التاريخ :

يا أصحاب الفضيلة والسادة ! ما قولكم — جعلكم الله أنصاراً للحق على الدوام — فيما جاء فى مقال الأستاذ حيدر الشيرازى أحد موظفى المجلس الحسبى بمصر المنشور فى صحيفة منبر الشرق فى عددها ٤٧٩ فى ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ٥ دسمبر سنة ١٩٤٧ فى الصفحة الخامسة بأن (مدينة النجف كانت جبلا وهو الذى قال فيه ابن نوح سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، فأوحى الله إليه : ياجبل ، أيعتصم بك منى؟ فتقطع قطعا قطعاً وصار رملاً ثم بحراً عظيما كان يسمى (نى) ثم جف فسمى (نى جف) أى نجف ؛ وإن الخليفة هارون الرشيد علم بموضع قبر الإمام على كرم الله وجهه فأمر أن تبنى قبة فبنيت القبة ونقشت وفرشت وأضيئت ؛ وإن الخمر إذا دخلت مدينة النجف انقلبت خلا ؛ وإن الكلب لا يدخلها ، وإن نادر شاه حاول إدخال كلب معه فقاوم الكلب حتى قتله نادرشاه ، وحاول إدخال النبيذ فانقلب خلا) هذا ما يقوله الأستاذ الفاضل الشيرازى فما هى كلمة العلم الصحيح والتاريخ الأمين يا علماء المسلمين والعرب ؟

(الرياض) **ابن سلوم**

حرمة القرآن :

قرأت فى عدد من الرسالة قصيدة لشاعر معروف فى ذكرى الزعيم مصطفى كامل جاء فيها هذا البيت :

لك سيرة يتلو الشباب فصولها   كالآى من ياسين والأحقاف

فخز فى نفسى هذا التشبيه ، وكنت أود لهذا الشاعر أن يتجنب مثل هذه التشبيهات التى لا تليق بجلال كتابنا الكريم . ولست أدرى لم يلقى الشعراء بأنفسهم إلى هذا المأزق الضيق ؟ ويقتحمون فى هذا المسلك الوعر ؟ إن كان هو قصد الإطراف والإجادة ، فليعلموا أن مثل هذه التشبيهات مما يسخف بها الشعر ويسمج ، فإن من سمات الشعر الجيد ألا يمس الشعور العام فى أية ناحية من نواحيه ، ولا شك أن المتدينين يجدون شيئاً كثيراً من الإمتعاص والإشمئزاز حين يقرأون أمثال هذه التشبيهات التى تسلك بعض كلام البشر مع القرآن الكريم فى قرن .

وأنا أعرف أن الذى ساق بعض شباب الجيل إلى مثل هذه التعبيرات السمجة هو ما قاله شوقى فى رثاء إسماعيل صبرى:

لو كان للقرآن بعدُ بقية   لم تأت بعد رثيت فى الأعراف

ولكن من قال أن كل شىء جاء من شاعر كبير كشوقى أو كالمعرى يكون أصلا يحتذيه الناشئون ، على أن الذى دعانى إلى أن أكتب هذه الكلمة هو أن هذا الشاعر نفسه ذكر هذا المعنى فى رثاء شوقى ، فهو يقول عن شعره :

رب تلميذه أكب عليــه   مثــل أكبابه على قرآنه

فإذا تجاوزنا هذا الشاعر إلى غيره من ناشئة الجيل وجدناهم منسـاقين فى هذا التيار ، لا يشعرون بما فى مثل هذه من حمق وسخافة . سمعت مرة شاعراً يمدح عظيما فيقول : (تخذوك بعد إلههم معبوداً) .

وقرأت لآخر فى هذه الأيام يمدح شيخاً جليلا فيقول :

شمس تضىء المشرقين كأنها   شمس الرسول سماؤها أم القرى

هو نفحة الرحمن أرسله هدى   للعالمين ورحمة وتبصرا

إلى ترهات كثيرة ، وأباطيل مستقبحة من أمثال هـذه التشبيهات الجريئة ، وإنى أحب أن أعلم من لم يكن يعلم أن مقام القرآن ومقام الرسول أحق بالصيانة ، وأجدى ألا يوضع واحد منهما فى هذه الموازن .

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

سهو وصايا أبى تمام :

من أعجب ما قرأت وصية أبى تمام — شـاعر المعانى — للوليد بن عبيد البحترى — تلميذه — قال « تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، وأحسن الأوقات لتأليف شىء أو حفظه وقت (السحر) .. » . قلت : وفى جمل أبى تمام الثلاث — رحم الله أبا تمام — أخطاء ثلاثة :

١ — جعل للشعر (أو النظم) أوقاتاً ومواعيد !

٢ — وأفاد أن النظم يحسن ويلطف على قلة هم وغم !

٣ — ثم ثلث أثافيه بأن (السحر) أحسن أوقات النظم والتأليف !

والشاهد أن وصية (مولد المعانى) إن هى إلا وصية صانع لصبى يعلمه الصنعة فيقول — بعد الذى سبق من القول « وكن كأنك خياط يقطع الثوب على مقادير الأجسام » ولا يقول كما قال بشر بن المعتمر : « وعاوده عند نشاطك » فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هنالك طبيعة أو جريت فى الصناعة على عرق ... » .

وبعد : فقد أذكرنى هذا القول أو هذه الوصية « التمامية » ما نراه فى هذه الأيام من شعر الصنعة أو شعر (المناسبات) الذى يقال فى كل آت من الحادثات أيا كانت الحادثات . فليتق الله الشعراء والشاعرات !

(الزيتون)   **عدنان**

العزة بالإسم :

وقعت فى مقالى « بين الشيوخ والشباب » بالعدد الماضى من الرسالة — هنات مطبعية يدركها القارىء بفطنته ، ولكن الفقرة التالية جاءت هكذا : « تناقش ياسيدى وجهاً لوجه وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت إن أخذتك العزة بالإثم » وكانت هذه العبارة موجهة للأستاذ توفيق الحكيم ، لتجنبه مواجهة من ينقده . وواضح أنه لا يأتى بذلك إثمــاً حتى يعتز به ، وإنما أصل التعبير « إن أخذتك العزة بالاسم » وهـذا هو المقصود بطبيعة السياق .

عباس خضر

الكتب

أبو الهـــول يطير

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

عندما قرأت هذا العنوان فى إعلانات الصحف قلت لعل الأستاذ تيمور يعنى بأبى الهول نفسه ، فهو رمز المصرى كما هو رمز الصمت . وفى التسمية دلالة لا بأس بها ، فنحن نستعير كثيراً من الأشياء المصرية كالنيل والأهرام وما إلى ذلك دلالة على القومية المصرية . حتى إذا شرعت فى قراءة الكتاب اتضح لى أنى كنت واهما فيما ذهبت إليه ، لأن المؤلف لا يقصد نفسه بهذه الاستعارة ، وإنما يقصد الطائرة التى أقلته من مصر إلى أمريكا ، أو إلى الولايات المتحدة على وجه التحديد ، بلاد الحضارة والمدنية الحديثة ، أو الدنيا الجديدة كما يقولون .

ولا ريب فى أن أمريكا تستحق من الشرق أن يتعرف إليها ، بعد أن أصبحت محط أنظار العالم ، وبعد أن انتقلت إليها الحضارة العلمية الحديثة ، فانتهت إلى كشف القنبلة الذرية ، فسبقت بذلك سائر الدول التى كانت تحمل لواء العلم والمدنية .

كنا إذن فى حاجة إلى معرفة هذه الدولة العظيمة الناشئة ، وما فيها من نظم اجتماعية ، وأحوال عمرانية ، وتقاليد يصطبغ بها أهلها ، وعادات تشيع فى سكانها .

وهذا ما فعله الأستاذ محمود تيمور بك فى كتابه « أبو الهول يطير » . صور فيه رحلته إلى تلك البلاد ، وسجل ما شاهده فى السماء والأرض ، والفندق والشارع ، والمطعم والملهى ، وفى كل مكان ، وفى كل ركن من الأركان ، فكان الناقل الأمين الذى شاهد بعين المصرى الشرقى تلك البلاد الجديدة الغريبة .

فهى إذن رحلة « أمريكانية » كان من الخير أن يصورها لنا المؤلف فى هذا الأسلوب الطائر ، حتى نلائم ما عرفناه عن أمريكا التى تحسب حساب السرعة والزمن فى كل عمل . فإذا كان ابن بطوطة أو ابن جبير يقطع الواحد منهما الرحلة فى أعوام ، فلا عجب أن نجد محمود تيمور يقطعها فى شهور . وأن يصل من القاهرة إلى نيويورك فى ساعات .

نقول إن عين الشرق هى التى سجلت ما فى هذا الكتاب من كتب وأطياف وظلال . والشرق مؤمن بطبعه ، وكان الشرق مهبط الأديان منذ قديم الزمان . انظر مثلا إلى ما يقوله تيمور فى صفحة ٨٠ « ما زال حديث السماء على تطاول الزمن ، وتراوح الحقب ، وتطور العقول ، هو صاحب السلطان الأول على المشاعر والنفوس ... لطالما سمعنا فلاسفة الفكر ينادون بأن العقيدة الدينية على وشك الانهيار ، ولكننا لا نلبث أن تواجهنا حقائق تسخر من هذا الزعم الموهوم ... إن العقيدة ، مثلها كمثل كرة المطاط ، إذا قذفت بها ورأيتها جادة فى هويها إلى الأرض لم تحسب لها من رجوع . ولكنك لا تعتم أن تراها قد وثبت إليك فى عنفوانها أقوى مما كانت من قبل ... » .

فأنت ترى أن الرحلة لا تصف المشاهد الحسية فحسب ، بل تذهب إلى أعماق الحقائق الروحية ، فيحدثنا صاحبها عن الفلسفة والعقيدة والإيمان بالله ، والدفاع عن الأديان .

على أننا ننكر على الأستاذ تيمور قوله : إن فلاسفة الفكر ينادون بالإلحاد ، فهى تهمة لصقت بالفلاسفة وهم منها براء . وقد قيل مثل ذلك عن ابن رشد فيلسوف قرطبة ، ووقع فى محنة شديدة كادت أن تودى به . على أنا نرى أن الفلاسفة كانوا دعائم العقائد يقوونها بسند الفكر والبرهان ، كما فعل ديكارت فى براهينه الرياضية فى إثبات وجود الله .

وقد نقلت العبارة السابقة من الكتاب لغرض آخر غير هذا النقد الذى وجهته ، ذلك أنى أحببت أن أعرض على القارئ لوناً من أسلوب الكاتب فى كتابته .

ولقد صحبت تيمور فى قصصه منذ زمن بعيد ، فقرأت له تلك « الأقصوصات » ، ويعنون بذلك القصة الصغيرة ، مثل « مكتوب على الجبين وقصص أخرى » و « أبو على وقصص أخرى » .

فكنت أعجب به قاصاً ، كما أعجبت به كاتب رحلة . والميزان ومبعث الإعجاب عندى هو تلك اللذة التى تشعر بها عند قراءة هذه القصص ، فلا تكاد تبدأ فى قراءتها حتى تنتهى إلى نهايتها ، دون شعور بملل أو سأم ، بل يدفعنا فيها دافع قوى من الشغف والتلهف على تتمة القصة .

وقد يختلف النقاد فى الحكم على أدب تيمور وقصصه ، ولا أعد هذا الخلاف مطعناً عليه ، فكل أديب مشهور لا بد أن يكون موضع الخلاف بين النقاد ، وكذلك كان شوقى فى شعره ، رفعه بعض الحكام إلى مرتبة الإمارة فى الشعر ، وقال البعض الآخر إنه ناظم لا روح فيه .

يقول النقاد الذين لا يعجبهم أدب تيمور إنه شعبى ينزل إلى مستوى الجمهور لا فى عباراته وأساليبه فحسب ، بل فى ألفاظه .

ونحن نرى أن هذه السهولة السهلة هى التى يتميز بها قلم تيمور ، والتى تجعل له طابعاً خاصاً يميزه عن غيره ،

ولم تمنع السهولة أن يكون صاحبها أديباً ، بل نحن فى حاجة إلى هذا اللون الذى يبعد بنا عن الأدب التقليدى ، وعن ترسل الجاحظ ، وسجع ابن العميد ؛ ذلك لأننا فى عصر يحمل جمال الموضوع فى صدقه وقوة تعبيره ، ولا حاجة بنا إلى التزويق والتأنق والتكلف مما يصرف الكاتب والقارئ معاً عن لذة الفكر الخالص .

وهذا الأستاذ أحمد أمين لا يتكلف بل يكتب كأنه يتحدث فيعرض ألوان الفكر الإسلامى منذ فجر الإسلام وضحاه ، فأفاد واستفاد منه الناس فى غير عناء . وهذا المازنى لا يغرب ولا يتأنق بل تحس كأنه يخاطب العامة ، ومع ذلك فهو أديب لم يطعن فى أدبه طاعن ، ولم يقل قائل إن أسلوبه غير بليغ . أليست البلاغة كما قال ابن المقفع « هى التى إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها فإذا حاول عجز » …

محمود تيمور إذن من هذا الطراز الذى يجرى قلمه بما يجيش فى صدره ، وما تختلج به نفسه ، وما تراه عينه ، فتقرأ له كأنك تستمع إليه .

وأكبر الظن أنه يصطنع بعض الألفاظ العامية المستملحة التى لا تجد لها نظيراً فى الفصحى ، لأنه يريد ذلك ، أو يريد أن يدخل هذه الألفاظ فى قاموس اللغة العربية حتى تندرج فيها . وهذا مذهب لا بأس به .

وهو كذلك يستعمل بعض الألفاظ الجديدة التى استحدثت ، ولعله بتسجيلها يدفع إليها مع الزمن الحياة . أنظر إليه وقد نزل فى باريس وذهب إلى مقهى « كافيه دلابيه » المشهور إذ يقول « لنتناول قدحاً من تلك القهوة الممزوجة باللبن ، مفخرة هذا الشرب البعيد الصيت … وانحظ بجلسة نستعيد فيها ذكريات الماضى المحبب ، ونقل النظر فى الغادين والرائحين من أهل باريس ، نتملى بما يبدونه من أناقة ورشاقة وظرف ، وهم يتزاحمون على طوار الطريق … »

وفى هذه العبارة التى ننقلها لفظتان جديدتان ، الشرب وهو بمعنى المقهى ، والطوار أى التروتوار .

وعلى هذا النسق تجد عشرات وعشرات من الألفاظ يجريها فى أثناء التعبير ، فلا تحس فيها غضاضة أو تكلفا . وهذا فضل لا ينكر فى تذليل اللغة العربية لألفاظ الحضارة الحديثة .

وبعد ، فإنى أحب للقارئ أن يمتطى متن هذا الكتاب ، ليطير به فى جواء الفكر ، وينقله إلى الدنيا الجديدة ليسعد فيها بعض لحظات .

أحمد فؤاد الأهوانى

(الرسالة) : آفة النقد عندنا الترديد والتقليد . فالدكتور الأهوانى يردد نغمة قديمة لم يبق لها فى الآذان رجع . كان النقاد يأخذون على أسلوب الأستاذ تيمور فى نتاجه الأول أنه أقرب إلى العامية فى ألفاظه وتراكيبه ، فتنقش هذا الرأى فى أذهان الناس ، وصرفهم الكسل العقلى عن استئناف النظر فيه بالموازنة والنقد ، فلم يلاحظوا تطور أسلوب الكاتب على إدمان الجهد وكر السنين ، من الابتذال إلى السمو ، ومن السهولة إلى الجزالة ، فيما كتب بعد ذلك من مقالات وقصص . ومن أثر هذا الجمود العقلى أن الناس قد اعتقدوا فى كل كاتب من كتابنا ، وزعيم من زعمائنا ، رأياً لا يتحولون عنه ولا يغيرون منه . فلو كان عندنا نقد يجارى التطور ، ولنا رأى يساير النهوض ، لحكمنا على الكاتب بآخر ما يقول ، وعلى الزعيم بآخر ما يعمل . ويظهر أن الأستاذ الناقد يخلط بين السهولة والابتذال ؛ فإن السهولة من الصفات الجوهرية للبلاغة ، ولا يعيبها على الكاتب إلا مجذوب من مجاذيب الصوفية ، أو مجنون من مجانين الرمزية



المنبـــــوذة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

عند ما دخلت استراحة المسافرين بمحطة لوبان ؛ صوبت أولى نظراتى إلى الساعة ، فرجدت أنه لا يزال أمامى متسع من الوقت حتى يصل قطار باريس السريع . وشعرت فجأة بالإجهاد كأنى قطعت عشرة فراسخ سيراً على الأقدام . فنظرت حولى لعلى أرى على الجدران ما أقتل به الوقت فلم أجد شيئاً . فخرجت ووقفت أمام مدخل المحطة ، وأنا أقلب الفكر فيما يرفه عن نفسى إلى أن يصل القطار .

كان الطريق أمامى قد نمت على جانبيه أشجار الفتنة بين صفين من مختلف المنازل الصغيرة ، وقد ارتفع الطريق صعداً ؛ فبدت نهايته كأنها حديقة بعيدة .

وكان مقفراً إلا من هرة تتسكع فى الطريق فى خفة ، وكلب يسرع فى مشيته يشم قوائم الأشجار باحثاً عن فضلات الطعام ...

واجتاحتنى موجة حزينة من الشعور بالخيبة . ما العمل ... ؟ ما العمل ؟ وجدت أنه لا مفر لى من الانتظار الممل بمقهى المحطة الصغير . وتصورت نفسى جالساً وأمامى قدح من الخمر لم تمسه شفتاى ، وجريدة محلية عافت نفسى قراءتها ، عند ما بدت أمامى جنازة قادمة من شارع جانبى لتخترق ذلك الطريق أمامى .

شعرت عندئذ أن منظر مركبة الموتى قد فرج عن نفسى .

لقد ربحت على الأقل عشر دقائق من فراغى الطويل .

وتضاعف فجأة انتباهى عند ما شاهدت الميت لا يشيعه سوى ثمانية رجال كان أحدهم يبكى فى حرارة والآخرون يثرثرون ويتحدثون أثناء سيرهم . ولم يشترك فى الجنازة أى قس . ففكرت وأنا أخاطب نفسى « هاهوذا دفن مدنى » ولكن سنح لى خاطر : مابال المثات من ذوى الأفكار الحرة الذين يعيشون فى البلدة لايشتركون فى إبداء شعورهم فى مثل هذه المناسبة ؟ إن سير هـذه القافلة السريع قد دل على أنهم سيدفنون الفقيد دون احتفال دينى .

ودفع بى فضولى إلى افتراض فرض ممقد بعيد . ولكن ؛ بينما كانت المركبة تمر أمامى ، إذ بفكرة تنبعث فى خاطرى هى أن أشيع المركبة مع هؤلاء المشيعين وبذلك أشغل من وقتى الضائع ساعة على الأقل؛ فسرت وأنا أتظاهر بالحزن خلف الآخرين .

والتفت آخر اثنين منهم إلى فى دهشة ، ثم تحدثا فى صوت خافت . فاعتقدت أنهما يتساءلان عن سبب وجودى وأنا الغريب عن هذه البلدة . ثم استثارا الاثنين اللذين أمامهما ؛ فالتفتا ناحيتى يتطلعان إلى فى فضول . فضايقنى ذلك الأمر ، وعزمت على أن أضع حداً له ؛ فاقتربت منهم ، وقلت بعد أن بادلتهم التحية : « أرجو المعذرة أيها السادة إذا كنت قد قطعت عليكم حديثاً ، ولكنى عند ما شاهدت الجنازة دفعت نفسى إلى اللحاق بها دون سابق معرفة بالفقيد الذى تشيعونه » .

فرد أحدهم قائلا « إنها فقيدة » .

فدهشت ، وسألت : « إذن هى جنازة مدنية ، أليس كذلك ؟ » .

فأجاب آخر يشرح لى قليلا : « نعم ، ولا . إن القس رفض أن ندخل بها الكنيسة » .

فبدرت منى آهة من الدهشة لأنى لم أفهم ما يعنى .

فصرح قائلا فى صوت خافت : « إنها قصة محزنة . إن هذه الشابة قد انتحرت . وهذا هو السبب فى عجزنا عن إجراء الطقوس الدينية قبل دفنها . إن من تراه يبكى هنا هو زوجها » .

فقلت بعد تردد « إنك لتدهشنى وتثير فضولى . هل أنتهك سرا إذا ما رجوت أن تقص على هذه القصة ؟ إذا كنت تشعر بأن ذلك فضولا منى فاعتبر كلامى كأن لم يكن » .

فأخذ الرجل بذراعى دون كلفة وقال : « كلا .. ليس ما يمنع أن أسرد عليك وقائعها . فلنبطئ فى السير قليلا حتى نكون آخر

المشيعين ، ولدينا من الوقت ما يكفي للسرد قبل أن نصل إلى المقبرة عند الأشجار التي تشاهدها هناك »

ثم طفق يحدثني قائلا « تصور أن هذه المرأة الشابة السيدة بول هامون كانت ابنة أحد التجار الأثرياء السيد فونتانلي . وكان قد حدث لهـا حادث رهيب وهي في سن الحادية عشرة . لقد اعتدى عليها خادم ، وكادت تموت خزيا وعارا من ذلك الحادث الأليم . وأظهرت المحاكمة الرهيبة أن تلك المسكينة كانت ضحية ذلك الوحش مدة ثلاثة أشهر . فحـكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

ونمت الفتاة الصغيرة وقد تلطخت بالعار ، منبوذة ، وحيدة ، بلا رفيقات ولا عاطف وأصبحت أمام الأهلين كأنها مسخ أو أعجوبة من الأعاجيب . كانوا يتحدثون عنها في همس ، ويتكلمون عن « الصغيرة فونتانل » في غمز ، ويديرون ظهورهم عند رؤيتهم لها في الطريق . حتى المربيات ، كن أكثرهن يأبين الالتحاق بخدمتها . وكانت العائلات تبتعد عنها كأنها وباء يخشى أن تنشره الفتاة فيسري إلى من بالقرب منها .

أي شفقة تعتريك لو كنت قد شاهدت هذه الطفلة المسكينة وهي تراقب الأولاد يمرحون ويلعبون في السـاحة بعد ظهر كل يوم . كانت تجلس وحيدة أو تقف بجانب خادمتها تشاهد حزينة ما يحدث دون أن تشترك مع الأولاد في لهوهم . وعندما كانت تنتابها نزوة من الأغراء لاتقاوم ، كانت تتقدم في خجل وخوف وتدخل في زمرتهم في خطوات مترددة ، وكأنها شاعرة بعارها .

وسرعان ما ينهض الأمهـات والعمات والمربيات من مقاعدهن ويأخذن بأيدي الأولاد ويجذبنهم بشدة بعيدا عنها ، وتبقى الصغيرة فونتانل وحيدة ، والهـة القلب ، مذهولة ، ثم تنفجر باكية وقد امتلأ قلبها شجنا ، وأخيراً تسرع إلى خادمتها تخفي وجهها المخضل بالدمع في مئزرها .

وكبرت الفتاة وازدادت حالتها سوءا . وكان الناس يحولون بينها وبين مثيلاتها من الفتيات كما لو كانت مصابة بالطاعون . ولم يكن لدى الفتاة شيء تتعلمه ، لاشيء البتة . لقد قطفت الثمرة المحرمة قبل أوانها وامتلأ جسمها بالأنوثة قبل أن يحين ذلك الوقت الذي تحاول فيه كل فتاة أن تقرأ المستقبل المجهول في وجه الرجل ليلة الزفاف .

كانت كلما عبرت الطريق بصحبة مربيتها ، ينظر إليها الناس وهم في خشية منها ، فتغض الطرف شـاعرة بالعار الذي يثقل كاهلها . وكانت الفتيات الساذجات الغريرات يتغامزن عند رؤيتها في خفية ، ويحولن أنظارهن عنها كلما التقت أعينهن بعينيها .

وكانوا قليلا مايحيونها ، ويتظاهرون بعدم رؤيتهم لها . حتى الصبية كانوا ينادونها « مدام باتست » اسم ذلك الخادم الذي اعتدى على عفافها .

كانوا لا يعرفون مقدار العذاب الذي تعانيه هذه الفتاة . فقد كانت قليلة الـكلام لاتبتسم مطلقاً . حتى أهلها ، كانوا يضيقون بها كأنهم يحقدون عليها من جراء تلك الهفوة الشنعاء . إن الرجل الفاضل لا يمد يده بمحض ارادته إلى المجرم الذي أفرج عنه ، ولو كان ابنه ، أليس كذلك ؟ وعامل السيد والسيدة فونتانل ابنتهما كأنها من طريدات السجون .

كانت جميلة ، شاحبة اللون ، ذات قامة هيفاء ، وسمت ووقور . ولولم يكن ذلك الحادث لـكنت من المعجبين بها .

ولما قدم الحاكم إلى البلدة بعد غياب ثمانية عشر شهراً استحضر معه سكرتيراً خاصاً ، وهو شاب غريب الأطوار كان يعيش في الحي اللاتيني بباريس . فرأى الآنسة فونتانل وأحبها . وقصوا عليه قصتها فلم يأبه بها ؛ بل قال إن ذلك يضمن مستقبلها .

وغازلها ثم طلب يدها وتزوجها . وكان لا يخجل من التزاور معها ؛ فكان البعض يرد الزيارة ، والبعض يحجم عنها .

وسار الحادث مع الزمن في طريق النسيان ، وأخذت السيدة مقامها في المجتمع . وكانت تعبد زوجها كما لو كان إلهاً . ألم يرد إليها شرفها ؟ ألم يقاوم المجتمع ويكافح الناس من أجلها ، ويواجه الإهانات بسببها ؟ لقد كان يقوم بدوره في شجاعة قل أن تجدها في الرجال .

وحملت فتفتحت أمامها الأبواب كأنما تطهرت تماماً بالأمومة . إن ذلك لشيء مضحك . ولـكنها الحياة !

وسار كل شيء في طريقه للعادي ، حتى حانت حفلة البلدة

السنوية ، وأقبل الحاكم يحيط به سكرتيره وحواشيه وأصحاب الجاه لتوزيع الجوائز على المتسابقين ، وأنت تعرف بالطبع ما يحدث من خلاف ومنافسة وغيرة بين الناس فى مثل هذه الحفلات ، وما أكثر أن يفقد البعض رشدهم . كان كل سيدات البلدة قد حضرن لمشاهدة هذه الحفلة . وتقدم رئيس فرقة الموسيقى لبلدة دى مورميون ؛ فقلده بول هامون وساماً من الدرجة الثانية . فقذف رئيس الفرقة بالوسام فى وجه السكرتير صائحاً « احتفظ به لباتست — فأنت مدين له ولى بوسامين من الدرجة الأولى » .

كان هناك حشد كبير من الناس فسرعان ما ضجوا بالضحك كان جمهوراً خشناً غير مهذب ، واتجهت كل الأنظار صوب السيدة المسكينة . أواه يا سيدى ، ألم تشاهد قط امرأة جنت ؟ لقد كنت بين الحاضرين فى تلك الحفلة ، وشاهدتها وهى تحاول النهوض فتسقط على مقعدها ثلاث مرات متتالية ، كأنها تريد الهرب فيقيدها عجزها عن اختراق هذه الجموع المتكاثرة المحيطة بها . وسمعت صوتاً من جهة ما يصيح : « أهلا .. أهلا .. يا مدام باتست » فضج بعض الناس بالضحك واشمأز البعض الآخر . وهبت عاصفة من الضوضاء والهرج ، واهتزت الرؤوس ورددت الأصوات ، وتطلعت الأنظار تشاهد وجه تلك التعسة ، وحمل الرجال زوجاتهم على أذرعتهم ليشاهدنها ، وتساءل الناس أين ؟ أهى تلك التى ترتدى ثوباً أزرق اللون ؟ وكان الأولاد يصيحون صياح الديكة ، وانفجر القوم يضحكون ضحكات عالية ، ولكنها لم تتحرك من مكانها ، كانت جالسة فى ذهول على المقعد الوثير كأنها ساعة خصصت لهذه الحفلة تتطلع إليها الأنظار ، ولم تستطع حراكا ، ولم تتمكن من إخفاء وجهها . كانت جفونها تنطبق ثم تنفتح كأن هناك ضوءا باهراً يحرق عينيها . ولهثت كأنها جواد يصعد مرتفعا من الأرض . كان كل هذا يمزق قلبى تمزيقاً .

وأخذ السيد هامون برقبة رئيس فرقة الموسيقى ذلك الشخص الوقح وألقاه على الأرض وسط الضوضاء الهائلة . وتوقف الاحتفال ، وبعد ساعة كان السيد هامون فى طريقه إلى الدار برفقة زوجه . كانت مرتجفة الجسد صامتة لم تفه بكلمة واحدة . وفجأة تسلقت حاجز الجسر دون أن يتمكن زوجها من منعها ، ثم ألقت بنفسها فى النهر .

واستغرق إخراجها ساعتين من ذلك الماء العميق . كانت بالطبع قد فارقت الحياة » .

* * *

صمت المتحدث لحظة ثم عاد بعدها يقول « ربما كان من الأفضل لها أن تصل إلى هذه النهاية المؤلمة . فإن هناك أشياء تحدث فلا يمكن محوها . وها أنذا عرفت الآن لماذا رفض القس أن يفتح أبواب الكنيسة لها . فإنه لو كان الدفن دينياً لشيع الجنازة كل أهل المدينة . ولكن ذلك الانتحار وتلك القصة الأليمة حملت العائلات على الاحجام عن تشييع الجنازة . ولذلك كان من الصعب أن يشيعها القس .

***

وعبرنا باب المقبرة ؛ وانتظرت فى تأثر بالغ نزول الناووس فى القبر لأقترب من ذلك الشاب المسكين الذى كان يبكى وينتحب . وشددت على يده معزيا ، فنظر إلىّ فى دهشة من خلال دموعه ثم تمتم قائلاً : « شكراً يا سيدى ، شكراً » . ولم آسف أبداً على اشتراكى فى تشييع هذه الجنازة .

الاسكندرية **محمد فهمى عبد الوهاب**